مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان
Jerusalem Legal Aid and Human Rights Center

الصُّمود المُقاوم

تجمعات فلسطينية في مُواجهة البيئة القَسرية للتَهجير

حَمزة أُسامة العَقرباوي

2023

للإتصال بنا

مكتب رام الله
عمارة الميلينيوم، الطابق الثالث
شارع كمال ناصر، المصايف
هاتف: 7981 298 2 970+
فاكس: 2987982 2 970+
www.jlac.ps
www.facebook.com/JLAC

الصُّمود المُقاوم

تجمعات فلسطينية في مُواجهة البيئة القَسرية للتَهجير

حَمزة أُسامة العَقرباوي 2023

مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان
Jerusalem Legal Aid and Human Rights Center

قائمة المحتويات:

تقديم مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان	4
مقدمة البحث	5
المدخل	6
Research Introduction	13
مسافر يطا	14
تجمع بدو وادي السيق	36
قرية يانون	56
عزون عتمة	74
بلدة كفر الديك	92
خاتمة البحث	106
مصطلحات	107
المصادر والمراجع	112
عن الكاتب	116

تقديم مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان

يعمل مركز القدس منذ عدة عقود لمواجهة جريمة هدم المنازل والمنشآت ومصادرة المعدات والمساعدات الإنسانية في المناطق المصنفة ج، هذه الجريمة المتصاعدة كما ونوعا، والتي وصلت ذروة غير مسبوقة خلال العام الجاري، مقارنة بالعام السابق 2022، حيث أصدرت سلطات الاحتلال خلال النصف الأول من العام الجاري 700 اخطار بالهدم، مقابل 447 اخطارا منذ مطلع عام 2022 وحتى أيلول منه، و413 اخطارا لنفس الفترة من عام 2021. كما كان هناك تصاعد نوعي في الإرهاب المنظم الذي تشنه ميليشيات المستعمرين بحماية جيش الاحتلال وتواطؤ شرطته المسؤولة عن تلقي شكاوى الضحايا.

نفذ المركز مشروعا بالشراكة مع مؤسسة روزا لوكسمبرغ بهدف دمج المدافعين عن حقوق الانسان من فئتي الشباب والنساء في حملات مناصرة، من خلال المزج بين التدريب والمناصرة، وتم اختيار فريق من 15 شاباً وشابة من المتطوعين طلاب وخريجي كليات الحقوق والإعلام من مناطق الضفة الغربية، لعمل زيارات ميدانية و توثيقية للمناطق المستهدفة، لكل منها خصائصه، ويشترك أربعة منها في القدم ووجود آثار وبيئة طبيعية خلابة، والتي بدل أن تكون مصدر نعمة أصبحت مصدر نقمة بعد قرار سلطات الاحتلال بمد نفوذها على كافة المناطق الأثرية في المنطقة المصنفة ج، بعد إحكام السيطرة على ينابيع المياه.

جمع المتطوعون مادة غنية ووضعها الباحث حمزة العقرباوي بعد اغنائها بالمعلومات التاريخية والآركولوجية (الأثرية) لتحكي قصص معاناة وصمود أهالي تلك التجمعات التي تعيش خطرا وشيكا على وجودها. ونحن إذ نطلق هذه الدراسة في حدث يراد له تسليط الضوء على معاناة هذه التجمعات ومثيلاتها، لتحفيز كل المعنيين لوضع برامج تدخل عاجلة تساعد في تقليل آثار المشروع الاستعماري وتعزز صمود هذه التجمعات. وغني عن القول أن الآراء التي تحملها الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي مركز القدس أو شريكها مؤسسة روزا لوكسمبورغ، وإن كنا كمركز نتبنى مخرجاتها من استنتاجات وتوصيات .

الشكر للمتطوعين والمتطوعات ولممثلي تجمعات مسافر يطا، بدو وادي السيق، تجمع يانون، قرية عزون عتمة وبدة كفر الديك، التي تعكس بيئات مختلفة بدوية ورعوية وزراعية، فيها خليط من بلدية ومجلس قروي ولجان تمثيل ومخاتير. وشكر مكرر للباحث المجد والمثابر حمزة العقرباوي ودائرة الحشد والمناصرة في مركز القدس وخاصة الزميلين سلوى حماد وحسين شجاعية.

"نحن والبلاد على موعد مع الحرية"

حمزة أسامة العقرباوي

عقربا 2023

مقدمة البحث

خُلقتُ فلاحًا تسكنه الأرض كما يسكنها، ذلك أن أُمّي وضعتني بين مَوسمين، هُما عماد فِلاحتنا وركيزة حياتنا، فبعد أن أنهت إمي سَميرة الفواز (1957) -أطال الله في عمرها- ملء الأكياس بالقمح والتبن على البيادر، أسرعت إلى المُستشفى لتُنجِبَني، ثم ما لبثت أن حَملتني معها في "الكوفليه" ووضعتني في مرجوحة تحت شجرة زيتون كَفرية، وكنت يومها لا أزال ابن ثلاثة شهور، كان ذلك على أجَمَةٍ (نجمة) بين سَهلين في عقربا، فعشت حياتي بين سنابل القمح وحبّات الزيتون، ومضيت إلى الأرض يَصقُلني أبي الحاج أسامة خضر (1955-2018) - رحمه الله - لأكون فلاحًا لا يرمي مِعْوَلَهُ ولا يَستريح إلا بعد أن يَسبحَ في عَرَق الكد والعطاء.

ولأن الأرض حياتنا، بل هي أغلى ما في حياتنا، كنت منذ فُتوتي أنشدُ حُريتها في نشاطي ضد الاستعمار، تطوعًا ونضالًا وتضامنًا وتوثيقًا، ذلك أن الاستعمار يهدم كل ما يربطنا بالأرض من حياة وبقاء وذكريات، وما هذه الأوراق إلا بعض جهدي ودوري الذي عليّ أن أقدمه وفاءً لأرضي التي يخنقها غول الاستعمار ويحبس عنها الأنفاس، آملًا أن تكون بعض وفاء واجب لأمنا الأرض رمز العطاء، ومصدر الخير والبركة.

يانون، مسافر يطا، وادي السيق، عزون عتمة، كفر الديك، وقائمة طويلة من مواضع الوجع التي نبت فيها دُمّلٌ غريبٌ عن جسد الأرض، فأحدث ورمًا سريع التكاثر والانتشار، أحاول تشخيصها ووصفها وبيان ما حدث ويحدث، وكلي ثقة بأنّ في الغد المنظور أبناءً بررة سيخلعون بمعاول بأسهم هذا الدّمل الغريب، ويُعيدون للأرض طُهرها، فتعود للعطاء والجود كما عهدناها من عهد جدنا الأول قبل عشرة آلاف عام ويزيد.

أكتب عن خمس مناطق في الضفة الغربية متباعدة في الجغرافيا، مُتشابهة بالوجع وأعراضه، وما كتبته هو بمثابة تشخيص أوّلي، أقدمه لمركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان، وكذا للمختصين والمهتمين أمثالهم مؤسسات وأفرادًا، لتكون هذه المادة مدخلًا يُعرّفُ بجغرافيا الصراع على الأرض، وما يدور حاليًا في النقاط الساخنة في المناطق المصنفة بأنها مناطق (ج)، والتي تستقوي عليها دولة الاحتلال عبر جيشها ومستعمريها الأشد تطرفًا وعدوانية.

ختامًا: إن كان لا بُدّ من الشُكر فإنني أشكر أبناءَ الأرض المجبولين من طينتها الطاهرة، الشكر وستر الله لسكان هذه القرى والتجمعات الذين فتحوا بيوتهم لنا، وجادوا بشهاداتهم وحكاياتهم التي صُنِعَت من دمهم ووجعهم وقلقهم اليومي، شكرًا لهم ولكل من أسهم في تعزيز صمود الفلسطيني على أرضه ومنع قوة البطش والجبروت من اقتلاع صاحب الحق وتهجيره، والشكر موصول لمركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان، وطاقمه الذين كانوا في الميدان، للعمل على التوثيق والرصد وحمل قضايا الأهالي للمحاكم، شكرًا للذين سهروا وتعبوا، وكانوا معنا في هذه المادة من الحرف الأول في كتابة هذه الدراسة توجيهًا ومراجعة وتصويبًا.

ولله الفضل والشكر من قبل ومن بعد

المدخل

تسعى دولة الاحتلال الإسرائيلي عبر مؤسساتها واذرعها الاستعمارية المختلفة لتفريغ المناطق الفلسطينية المُصنفة (ج) في الضفة الغربية بشكل عام والمناطق الواقعة في الأغوار وشفا الغور بشكل خاص من الفلسطينيين المُقيمين بها، وإنهاء التجمعات الفلسطينية الواقعة ضمن هذه الأراضي لصالح التوسع الإستعماري.

وكانت الحُجج الأمنية والعسكرية حاضرة طوال الوقت لاقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، فَهُدِمَت البيوت بحجة عدم الترخيص، وصودرت الأراضي لاعتبارات مختلفة: مناطق عسكرية، محميات طبيعية، أملاك دولة، وكان الوجود الفلسطيني في هذه المناطق تحدّياً مَحفوفاً بالمخاطر والموت.

ورغم عِظم التّحديات وقسوة الإجراءات الاستعمارية، بقي الفلسطيني صابراً على سَلخ لحمه حيّاً، ولا يُفرّط بحقّه ويترك أرضه، وأصبحت إجراءات دولة الاحتلال جُزءاً من تحدي البقاء الذي تأقلم الفلسطينيون عليه، حتى إذا شعرت دولة الاحتلال بأن كُفّة الفلسطينيين وإرادتهم بالصبر وقوّة الإحتمال رجحت على كفّة البطش وسياسة الاقتلاع، دفعت بأسوأ نماذجها وأدواتها الاستعمارية كظاهرة «فتية التلال» و «عصابات تدفيع الثمن» ثم ظاهرة «البؤر الرّعوية»، ووفرت لهم كل سُبل الحماية، والغطاء القانوني، وجعلت لهم دوراً تكميلياً في السيطرة والمُصادرة وسلب الأرض من أصحابها.

فمنذ احتلال الضفة الغربية في حزيران عام 1967م، لم تتوقف السياسات الاستعمارية لأجل السيطرة على الأراضي الفلسطينية، وقد بذلت دولة الاحتلال لأجل تحقيق ذلك كل الطرق والأدوات غير القانونية وغير الأخلاقية، وخلقت مزيجاً هجيناً من القوانين والقرارات وانتقت ما يحلو لها من القوانين التي كانت سارية في فلسطين سابقاً (العثمانية، الانتدابية والأردنية) وركبته مع ما أصدرته من أوامر وقرارات عسكرية بهدف السيطرة المُطلقة على الأرض، وسحب ملكيتها من يد الفلسطينيين وتمليكها للمستعمرين الصهاينة، ما أتاح لها حتى اللحظة السيطرة الفعلية على 2380 كم مربع من المناطق المصنفة «ج»، والتي تبلغ نسبتها 60 % من مساحة الضفة الغربية.[1]

1 ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية خلال العام 2022- التقرير السنوي، كانون الثاني 2023. هيئة مقاومة الجدار والاستيطان. 2023. ص 29.

وقد أنشأت دولة الاحتلال في الضفة الغربية حتى اللحظة نحو 362 مستعمرة وبؤرة استعمارية، كما أقامت نحو 146 موقعاً آخر، 27 كمناطق صناعية، و94 كمواقع عسكرية، و25 كمواقع خدماتية وسياحية، وكل ذلك لخدمة مشروعها الاستعماري على أرض فلسطين المحتلة.[2]

ومن الواضح أن سياسات حكومة الإحتلال العنصرية تجاه الفلسطينيين في وتيرة متزايدة ومتسارعة، وخصوصاً مع ظهور نموذج «البؤر الرعوية» التي انتشرت في مناطق (ج) بشكل كبير، وكأن هذه الدولة عبر أدواتها القديمة الجديدة في حالة سباق مع الزمن لنهب أكبر قدر ممكن من الأرض، وفرض وقائع جديدة ومعادلات تجعل الفلسطينيين وملكياتهم في استباحة وحل للمستعمرين.

والمتجول اليوم في الضفة الغربية من شمالها لجنوبها يدرك حجم التغيرات المُرعبة التي تجري على الأرض، وكيف تعيد دولة الاحتلال هندسة الجغرافيا عبر المستعمرات والبؤر الرعوية، والحواجز والطرق الاستعمارية التي تضبط التجمعات الفلسطينية وتفصلها عن بعضها البعض، وتحدد مداخلها ومخارجها، وتضبط وجهة التوسع فيها، وفي ذات الوقت تتيح للمستعمرات والبؤر الاستعمارية الانتشار العشوائي في المناطق التي سلبتها من الفلسطينيين وفق هندسة السيطرة الاستعمارية/العرقية المطلقة.

وكي تكتمل المساعي الاستعمارية وتحقق دولة الاحتلال رؤيتها، فإنها تكثف من جهودها لإفراغ الكثير من المناطق الفلسطينية من سكانها وخصوصاً في المنطقة (ج)، وذلك عبر طرق مباشرة وغير مُباشرة، وتضغط بكل قوتها وأدواتها المختلفة: جيش، شرطة، إدارة مدنية، تنظيم وتخطيط، أمن مستعمرات، مستعمرين، حماية طبيعة، محميات ومراقبين زراعة ..الخ. لتحقق خططها التي شَرَّعت لها قوانين منذ قيام دولتها حتى اليوم.

إن ما يحدث للفلسطينيين في السفوح الشرقية وتجمعات الأغوار ومسافر يطا والتجمعات في مناطق (ج) إنما هو تهجير قسري مُدان قانونياً ويخالف كل قوانين حقوق الإنسان، فالفقرة الأولى من المادة 49 لاتفاقية جنيف الرابعة تنص على: (يحظر النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين، أو نفيهم من الأراضي المحتلة إلى أراضي دولة الاحتلال أو إلى أراضي أي دولة أخرى، محتلة أو غير محتلة أياً كانت دواعيه).[3]

2 المصدر السابق.
3 الفقرة الأولى من المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة.

إن تنفيذ جريمة التهجير القسري لا يأخذ بالضرورة شكل العنف المباشر، فقد حددت الغرفة الابتدائية للمحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة أن مصطلح «قسري» يمكن أن يشمل القوة المادية بالإضافة إلى التهديد باستخدام القوة، أو الإكراه الناتج عن الخوف من استخدام العنف، الإجبار، الإعتقال، القمع النفسي، أو إساءة استخدام القوة، أو فعل الاستفادة من البيئة القسرية.

وأوضحت ذات الغرفة بأن معيار القسر هنا هو غياب الإختيار الحُر للضحية، وعليه فإن موافقة أشخاص على التهجير أو مطالبتهم به يجب أن تأتي نتاج إرادتهم الفردية الحرة، وأن يتم تقديرها في ضوء الظروف المحيطة بكل حالة.[4]

وعليه فإنه لا يختلف إثنان، بأن سياسة دولة الاحتلال تجاه التجمعات الفلسطينية، من هدم وازالة أبنية قائمة، واستخدام القوة المفرطة تجاههم، والتضييق عليهم والاعتداءات المتكررة من قبل «فتية التلال» و «عصابات تدفيع الثمن» التي تجبرهم على النزوح، إنما هي من الجرائم التي فيها انتهاك واضح لحقوق الإنسان وانتهاك لأبسط قواعد القانون الدولي، ناهيك عن الأشكال الأخرى من الجرائم التي تمارس بحق الفلسطينيين من قبل الاحتلال بشكل يومي.

تختلف خارطة الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية اليوم، كليا، عما كانت عليه في الثلاثين سنة الماضية والتي تلت احتلال الضفة الغربية (1967-1995). فالموجة الاستعمارية بعد إنشاء السلطة الفلسطينية حتى هذه المرحلة (1995 – 2023) كانت الأكثر انتشاراً والأشد خطراً، وفيها حصد غُلاة الاستعمار ثمار المشاريع والخطط والسياسات الصهيونية المتتالية، ولا يزال الاستعمار ماضٍ في محاولاته لابتلاع مزيد من الأرض.

وعن خطورة الممارسات الاستعمارية تجاه الفلسطينيين في الفترة الأخيرة يشير تقرير مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية إلى أنه: «هُجر ما مجموعه 1,105 أشخاص من 28 تجمعًا – نحو 12 بالمائة من سكان التجمعات – من أماكن إقامتهم منذ العام 2022، حيث أشاروا إلى عنف المستوطنين ومنعهم من الوصول إلى أراضي الرعي باعتبارهما السبب الرئيسي وراء رحيلهم عنها. وانتقل هؤلاء المهجرون إلى بلدات أو مناطق ريفية أخرى عدّوها أكثر أمناً. وكان معظم المهجرين في محافظات رام الله ونابلس والخليل، التي يوجد فيها أعلى عدد من البؤر الاستعمارية الإسرائيلية كذلك. وهُجر سكان

4 ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين (مصدر سابق) ص 30

أربعة تجمعات بالكامل وباتت خالية الآن، بما فيها تجمعان أُخليا أثناء إجراء التقييم المذكور. وفي ستة تجمعات أخرى، رحل أكثر من 50 بالمائة من سكانها منذ العام 2022 ورحل أكثر من 25 بالمائة من سبعة تجمعات أخرى. ولا يشمل العدد الموثق للأشخاص المهجرين الرعاة الفلسطينيين الذين رحلوا لأسباب تتعلق بالمواسم، ويتضمن أولئك الذين أشاروا إلى رغبتهم في العودة في حال تحسن الظروف».[5]

التجمعات الفلسطينية الخمسة التي تم تناولها في هذا البحث (مسافر يطا، وادي السيق، يانون، عزون عتمة، كفر الديك)، إنما هي نموذج لمختلف الانتهاكات والاعتداءات التي تتم في الضفة الغربية من المصادرة والتهجير والاستيلاء وبناء الجدار، والاستعمار الرعوي..الخ. الأمر الذي يُمكن القياس عليه لعشرات التجمعات والبلدات الفلسطينية، والتي تعاني من سياسات الاحتلال وإجراءاته اليومية، عبر قرارات المُصادرة والضم لصالح المستعمرات ولأجل إقامة الجدار الفاصل، وكذلك اخطارات الهدم ووقف البناء، والمصادرة بحجج أراضي دولة، أملاك غائبين ومناطق تدريب عسكري..الخ.

إن الأرض هنا هي محور الصراع بين المشروع الصهيوني بكل أدواته وبين الفلاح الأعزل، هناك قوة منظمة ودولة تدير المعركة وتطلق يد المستعمرين للنهب والبطش والسيطرة، وهنا فلاح لا يملك سوى علاقته مع الأرض، وقوة الصلة الخفية التي تجعل منه امتداد سُلالة الأرض منذ آلاف السنين.

ولأن الأرض هي ساحة المواجهة الفعلية بين الاحتلال الطارئ وأصحابها المتشبثين بها، ذهبت في البدء للبحث في السياق الاجتماعي والتاريخي والاقتصادي لهذه التجمعات، قبل الحديث عن الاستعمار وسياساته، فالحياة والحضارة كانت تنبض في هذه البلاد قبل أن يأتي الاحتلال، وستبقى أيضاً بعد أن يرحل.

في هذه الدراسة حاولت اتباع منهجية مَرنة تستطيع تغطية جوانب مُتعددة مما يتصل بالتجمعات المبحوثة: تاريخًا وجغرافيا، لأدخل بعدها لرصد سياسة الاحتلال في السيطرة عليها، غير غافل عمّا جرى ويجري من اعتداءات مُمنهجة أدت إلى تغيير الواقع وتبديله، عبَر السيطرة على الموارد، وإعادة هندسة المناطق بما يعزلها عن امتدادها الطبيعي، وصولًا للطرد القسري للسكان، تحت تهديد السلاح، وباستخدام القوة المُفرطة.

5 تهجير الرعاة الفلسطينيين وسط تصاعد عنف المستوطنين، مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية. 21 سبتمبر 2023 https://2u.pw/58tYlJ9

ولأجل ذلك ذهبت إلى هذه التجمعات برفقة متطوعي مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، وعملنا برفقة فريق التوثيق الذي تولى مهمة التنسيق له ولجولاته الميدانية الزملاء في المركز: سلوى حمّاد وحسين شجاعية. وبدأنا بجمع المعلومات عبر المُقابلات الشفوية ممن عايش الأحداث وشهد عليها، غير غافلين عن أهمية الملاحظة والرصد والتحليل، لفهم هذه التجمعات ومعرفة السياق الاستعماري الذي يتم التعامل معها بناءً عليه، لأعود بعدها إلى بعض المصادر البحثية والدراسات وما خُطّ عن هذه المناطق، وتحديات البقاء في وجه الاستعمار.

حصار وتضييق واستيلاء على الاراضي في بلدة عزون عتمة

وقد استفدت مما كنت وثقته وعملت عليه مُسبقًا في مجال الذاكرة الشفوية، أو كناشط في مجال مُقاومة الاستعمار في منطقة قرى نابلس، آملًا أن يكون ما في هذه الدراسة من معلومات وتفاصيل دافعًا للعمل على توثيق ما يتصل بتجمعات أخرى عاشت وتعيش ظروفًا قاسية بفعل الاستعمار الصهيوني. ومن المؤلم بالنسبة لي أن توثيق هذه التجمعات، وكتابة تاريخها، ينحو في غالبيته نحو أثر الاستعمار وسياسته تجاهها، وما ذلك إلا لحجم ما ابتليت به هذه التجمعات المبحوثة من ضرر ومعاناة بفعل الاحتلال و مستعمريه الذين عاثوا في الأرض فسادًا وإرهابًا، وكلي أمل بأن يكتب عنها في الغد القريب، بطريقة لا نجد فيها ولا نقرأ أثرًا للإرهاب والاستعمار الصهيوني. وأن يكون تركيز البحث منصبّاً على تاريخها وجغرافيتها وأثر الإنسان عبر الزمن في صناعة الحضارة.

policy in controlling them, without overlooking the systematic assaults that have occurred and continue to occur. These deliberate attacks have led to a change in the reality and its transformation, through the control of resources and the reengineering of the regions in a way that isolates them from their natural extensions. This culminates in the forced displacement of the population, under the threat of arms and through the use of excessive force.

For this purpose, I visited these communities accompanied by volunteers from the Jerusalem Center and a documentation team. We began by collecting information through oral interviews with those who have experienced and witnessed the events, recognizing the importance of observation, monitoring, and analysis. This was crucial to comprehend these communities and understand the colonial context in which they are dealt with. Afterward, I referred to various research sources and studies about these regions and the challenges of survival in the face of colonization.

I have benefited from the prior work and documentation I had undertaken in the field of oral history or as an activist in the resistance against colonization in the villages of Nablus. I hope that the information and details presented in this study will serve as a catalyst to document the experiences of other communities that have endured and continue to endure harsh conditions due to Zionist colonization

What pains me deeply is that documenting these communities and writing their history predominantly revolves around the impact of colonization and its policies towards them. This is due to the immense harm and suffering these researched communities have endured at the hands of the occupation and its settlers, who have brought corruption and terrorism to the land. I hope that in the near future, their stories will be written in a way that does not echo the terrorism and Zionist colonization, and that we will hear and read about them differently.

In conclusion, if gratitude is due, I extend my thanks to the children of this blessed land, those molded from its pure clay. Thanks, and may God protect the residents of these villages and communities who opened their homes to us, shared their testimonies, and recounted their stories, forged from their blood, pain, and daily struggles. Thank you to all those who have contributed to strengthening the resilience of Palestinians on their land, preventing the forces of oppression and tyranny from uprooting the rightful owners and displacing them. My gratitude is also extended to the team at the Jerusalem Center for Legal Aid and Human Rights, who were in the field, documenting, monitoring, and advocating for the cases of the locals in courts. Thank you to those who stayed up late, worked tirelessly, and were with us in every step of creating this study, providing guidance, reviewing, and correcting.

Research Introduction

I was born a farmer, destined to live and breathe the land. My mother, Samira Al-Fawwaz born in 1957, gave birth to me between two harvest seasons, which are the foundation of our livelihood. After she finished harvesting the wheat and straw, she went to the hospital to give birth to me. She carried me with her in the cradle and placed me in a swing under an old olive tree. I was merely three months old at the time. It was a starry night, nestled between two plains in the village of Aqraba. I spent my early years amidst wheat fields and olive groves, and my father, Osama Khadur Al-Hamza (1955-2018, may he rest in peace), took it upon himself to raise me into a farmer who would never abandon his plow. I had immersed myself in the sweat of labor and dedication.

As the land is our life, indeed, it is the dearest thing in our lives, I have, since my youth, sung its freedom in my activities against colonization, volunteering, struggling, standing in solidarity, and documenting. In fact, colonization dismantles everything that connects us to the land, including life, survival and memories. These pages are just a small part of my effort and my role that I must offer to my land, which is suffocated by the specter of colonization and deprived of its breath. It is my hope that this is a small tribute and duty to our motherland, the symbol of generosity, and a source of goodness and blessings.

Yanoon, Masafer Yatta, Deir Al-Seeq, Ras Atiya, Kafr Al-Deek, and a long list of places of pain where foreign abscesses have grown on the body of the land, creating a rapidly spreading and multiplying tumor. I try to diagnose, describe, and explain what has happened and is happening. I have full confidence that capable and skilled hands are coming to uproot this cancer. In the foreseeable future, righteous sons will remove this foreign sore with their strong tools and restore the land to its purity. It will return to its generosity and abundance as we knew it from the time of our ancestors 10,000 years ago and even more.

I am writing about five areas in the West Bank that are geographically dispersed, but similar in their pain and symptoms. What I have written is a preliminary diagnosis, which I present to the Jerusalem Center for Legal Aid and Human Rights, as well as to specialists and those interested, such as institutions and individuals. This material will be an introduction that defines the geography of the conflict on the ground, and what is currently happening in the hot spots in the areas classified as (C), which the occupying state relies on through its army and its most extreme and aggressive settlers.

In this study, I have attempted to follow a flexible methodology capable of covering multiple aspects related to the researched communities: their history and geography. I then delved into monitoring the occupation

حقول القمح في مسافر يطا

مَسافر يطا

مقدمة:

جنوب محافظة الخليل، تقع تجمعات سكانية تعرف باسم «مسافر يطا» تواجه خطر الاقتلاع والتهجير، من سلطات الاحتلال الإسرائيلي، والتي أصدرت قرارها عام 2022 باعتبار المنطقة، التي تحتوي نحو 13 تجمعًا فلسطينيًا من أصل 21 تجمعًا، مناطق عسكرية يُمنع على أصحاب الأرض التواجد والإقامة فيها، وذلك تمهيدًا لإخلائها والسيطرة عليها.

تُحاول هذه الدراسة الأولية فهم طبيعة تجمعات مسافر يطا، بهدف رصد تشكّلها ومكونها الاجتماعي، ومدى توفر البنى التحتية والخدمات الأساسية اللازمة للحياة الإنسانية، كما تتتبّع هذه الورقة تحديات البقاء والمواجهة اليومية التي تُفرض على هذه التجمعات نتيجة اعتداءات المستعمرين اليومية، تحت ذرائع ومبررات لا تنتهي، مُعتمدًا في منهجية البحث على المقابلات الشفوية وروايات الأهالي، ومراجعة كل الدراسات والأدبيات، التي تمكنتُ من الوصول إليها، وغطّت المنطقة وتناولتها بحثًا وتوثيقًا.

أولًا: مسافر يطا.. إرث الجغرافيا

إلى الجنوب من مدينة الخليل، وعلى مسافة تتراوح بين 14 - 24 كم، تقع هضبة ممتدة تعرف باسم مسافر يطا، ويتفاوت ارتفاعها بين (518 - 805) مترًا فوق سطح البحر، يحدها من الشرق والجنوب خط الهدنة 1949، ومن الشمال بدو يطّا، ومن الغرب بلدتي يطّا والسموع ويفصلها عنهما الشارع الالتفافي، ويعتقد الأهالي بأن كلمة مسافر المُلحقة باسم هذه الأراضي، جاءت من بُعدها عن بلدة يطا وأن الذهاب إليها كان يحتاج سفرًا.[6] تشمل المنطقة عدّة تجمعات سكانية أهمّها: التّواني، طوبا، الفقير، أم الخير، جنبا، المركز، الحلاوة، خربة الفخيت، خربة التبان، خربة المجاز، خربة اصفيّ التحتا، خربة اصفي الفوقا، مغاير العبيد، البقلة، طوبا، شعب البطم، بير العد، قواويس، خربة المقعورة، الركيز، خلة الديب، صارورة، منيزل، خربة خلّة الضبع، خربة المفقرة، ادقيقة (خربة طويل الشيخ)، وحسب الإحصاء الفلسطيني فقد بلغ عدد سكان هذه التجمعات نحو 2300 شخصًا.[7]

ويمكن تقسيم المنطقة إداريًا إلى قسمين: التواني، ومسافر يطا، حيث يتولى مجلس قروي مكون من 7 أعضاء إدارة تجمع التواني (ومعها بعض

6 دليل قرية التواني ومسافر يطا، معهد الأبحاث التطبيقية- القدس (أريج)، 2006- 2009، قاعدة بيانات نظم المعلومات الجغرافية. بيت لحم- فلسطين. ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية خلال العام 2022- التقرير السنوي، كانون الثاني 2023. هيئة مقاومة الجدار والاستيطان 2023. ص 30-32.

7 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018 (التعداد العام للسكان والمنشآت 2017: ملخص النتائج النهائية للتعداد، رام الله - فلسطين.// السيد علاء شعيب خليل هذالين (1999م) خربة أم الخير، ناشط محلي يقوم بتوثيق انتهاكات الاحتلال في مسافر يطا، مقابلة بتاريخ 6 مايو 2023م.

التجمعات التابعة لها)، فيما تقوم لجنة مشاريع مشكلة من الحكم المحلي بإدارة تسعة عشر تجمُّعًا، والتي تشكل حاليًا ما نعرفه باسم قرى وخرب: مسافر يطا، وتتولى هذه اللجنة متابعة قضاياهم واحتياجاتهم.[8]

ويُميز الأهالي بين مُصطلحين هُما: مسافر يطا والشّفا، والشّفا هي المناطق التي ترتفع وتُشرف وتطل على المناطق المعروفة باسم مسافر يطا، وكان المؤرخ الفلسطيني مصطفى مراد الدباغ قد ذكر مسافر يطا في موسوعة بلادنا فلسطين كونها من جُملة الأراضي الرعوية التي تتبع بلدة يطا، ذلك أن رعي الأغنام كان مصدر المعيشة بعد الزراعة في بلدة يطا.[9]

ورغم قلّة التوثيق التاريخي وانعدام المراجع التي وثقت لتاريخ هذه الأراضي، إلا أننا ومن خلال الملاحظة والمشاهدة نستطيع الانتباه إلى أنها منطقة مأهولة منذ القدم، وفيها عشرات الكهوف والمغر والآبار القديمة، كما أن كثيرًا من هذه التجمعات تحمل اسم خربة، وهو ما يطلقه الفلسطينيون على الأماكن التي سكنوها مستفيدين من آثار عمران وبقايا أبنية من حضارات سابقة[10] كما نجد استمرارًا لأنماط البناء القديم في كثير من هذه التجمعات، من استخدام الطين والقش في البناء، وفي مُطالعتنا لفيديوهات وصور نُشرت من نشطاء زاروا خربة (القريتين) التي صودرت ومنع الرعاة من دخولها بحجّة أنها محمية طبيعية، شاهدنا حجم الآثار القديمة والمهمة التي كانت قائمة في هذه الخربة التي لا تزال أبنيتها ومعالمها ماثلة للعيان، وفي أطلس فلسطين للمؤرخ الفلسطيني سليمان أبو ستة نُطالع وجود عشرات الخرب والمعالم الأثرية المتناثرة على قمم التلال في تلك المنطقة[11].

وهذه الكهوف الكثيرة المنتشرة في مسافر يطا استخدمت للمبيت لأهل الخرب، ولإيواء أغنامهم في الشتاء، حتى إن بعض هذه المُغر والكهوف التي يُسميها الأهالي (طور) كان يأوي نحو 200 رأس من الغنم، وكان لكل عائلة (طورين) فأكثر، بعضها ورثوه عمن سبقهم، وبعضها الآخر تولى السكّان حفرها، وكان لهذه المغر والكهوف أهمية ومكانة لأنها كانت مأواهم ومحل معيشتهم الذي يوفر لهم الحماية، حتى إن كثيرًا من الرجال استبدلوا مغرًا وكهوفًا في مغاير العبيد مثلًا بأراضٍ زراعية في يطا[12].

8 دليل قرية التواني ومسافر يطا (مصدر سابق).
9 موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى- كفر قرع 1991، الجزء الخامس، القسم الثاني، صفحة 225.
10 السيد عيسى يونس محمد أبو عرام (1974) خربة جنبا، مقابلة بتاريخ 6 تموز 2019م. المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.
11 أطلس فلسطين 1966-1917، سلمان حسين أبو ستة. هيئة أرض فلسطين - لندن، الطبعة الأولى 2011.
12 الحاجة نزهة جبريل خليل النجار (1949) مقابلة بتاريخ 7\8\2019 ، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.

تعتبر مسافر يطا منطقة جافة قليلة الأمطار، إذ تتراوح أمطارها بين 303 - 369 ملم سنويًا، ويصل معدل درجات الحرارة فيها إلى 18 درجة مئوية، وهي منطقة ممتدة التلال والهضاب تتخللها سهول ووديان ممتدة وبعيدة عن التجمعات الفلسطينية المستقرة، كمدينة الخليل وبلدتي يطا والسموع، ولذا فإنها منطقة تصلح لتربية المواشي والرعي، كما أن مناخها يصلح لزراعة القمح والشعير، وتصب مياه الأمطار عبر أوديتها في منطقة البحر الميت، ولا توجد عيون ماء أو أودية دائمة الجريان في هذه المنطقة[13].

ثانيًا: مسافر يطا.. نمط حياة مُختلف

تعتمد حياة التجمعات الرعوية الزراعية على طريقة حياة مُغايرة للشكل المدني المستقر، وهو نمط حياة يختلف عن المألوف في بناء التجمعات الفلسطينية، ذلك أنّ البدو وبعض الفلاحين اعتمدوا طريقة التنقل في حدود ملكية الأرض التابعة لهم، طلبًا للمرعى والماء الذي تحتاجه المواشي، مع استقرار محدود في تجمعات لها طابع معيشة بسيط، وقد اعتمدت الإقامة في هذه المناطق على المبيت والعيش في الخيام وبيوت الشعر، أو داخل الكهوف والمغاور، مضافًا لها، أحيانًا، ما يبنيه الإنسان لأغنامه من حوائط وزرائب تحميها من الوحوش، وما يلحق ذلك من أبنية بسيطة كالطابون أو المواقد، وهو نمط حياة شائع وله امتداد وجذور قديمة متوارثة منذ مئات السنين، عاش عليها أجدادنا في فلسطين[14].

وبحكم نمط هذه الحياة المُرتبطة بالزراعة والرّعي فإن الفلسطينيين القاطنين في مسافر يطا والمناطق الشبيهة بها كالأغوار، عمدوا لاختيار مواقع إقامتهم بما يتيح الاستقلالية عن جيرانهم بما يكفي للتحرك بأغنامهم وتوفير مبيتها وكذلك تخزين المؤن والأعلاف، إضافة لإقامتهم ومبيتهم، كل ذلك دون الحاجة للتداخل والمزاحمة، مع الحفاظ على خصوصيتهم كمجتمع محافظ قدر الإمكان، وذلك ضمن تجمعات عائلية مُتباعدة، ونلاحظ تناثر هذه التجمعات الصغيرة على عدّة تلال وعند أكتاف الجبال، مُستغلين وجود الكهوف والمغاور القديمة في الخرب المتهدمة، ليبنوا حولها الزرائب والصّير[15]،وينصبوا فيها الخيام وبيوت الشّعر، وعلى أطراف هذه التجمعات وفي مجاري الوديان حفروا الآبار لتجميع كل قطرة من مياه الأمطار التي تهطل شتاءً بكميات قليلة، وذلك لقلة عيون الماء وبعدها عن هذه التجمعات الرعوية[16].

13 دليل قرية التواني ومسافر يطا (مصدر سابق).
14 كفاح عزات مخامرة (1986) خربة اصفيّ الفوقا، تاريخ المقابلة: 6 آيار 2023.
15 لصّير: جمع صيرة، وهي المكان الذى تحشر فيه الأغنام، حيث لا تستطيع الأغنام تجاوزها والخروج منها إلا بفتح الباب، وكانت تبنى قديماً من الحجر، أو من أكوام الحطب العالية، ومؤخراً صارت تعمل من الشيك)
16 توجد عين ماء في خربة التواني وهي بالكاد تكفي التجمع ذاته.

وتتكون تجمعات مسافر يطا من خليط من العائلات المُستقرة والمتنقلة في حدود الجغرافيا ذاتها، فنجد مثلًا جزءًا من العائلات من أهالي يطا وسكانها الذين كان اعتمادهم في المعيشة على الزراعة وتربية الأغنام، والذين رحلوا لهذه المناطق والمراعي المملوكة لهم أبًا عن جد، فأقاموا فيها مواسم متفاوتة الاستقرار، وكانوا ينقلون منتجات أغنامهم لبلدتهم الأم يطا أو لمدينة الخليل أو مدينة بئر السبع وغيرها من المناطق القريبة منهم نسبيًا، كما أن بعض هذه التجمعات يقطنها بدو من قبائل عربية لها امتداد في دول الجوار، خاصّة الأردن وصحراء سيناء، اعتمدت هذه التجمعات الترحال والتنقل في أغنامها، وبعض بدو هذه التجمعات رحلوا وحلّوا فيها منذ عام 1948 بعد أن اقتلعهم الاحتلال من بئر السبع وتل عراد وجنوب فلسطين، فكانت مسافر يطا القريبة من مراعيهم القديمة محل استقرارهم الدائم منذ النكبة، بحكم قربها عليهم وتشابهها مع بيئتهم السابقة، وأنها في سنين الجفاف على جنوب فلسطين كانت مقصدهم للرّعي والإقامة[17].

وبحكم طبيعة هذه التجمعات ذات الطابع الزراعي/ الرعوي فقد اتسمت حياتهم بالقسوة والشّدة فيما مضى، وكان الاعتماد قائمًا على المدن والبلدات المحيطة بهم في توفير احتياجاتهم الأساسية، وكان عليهم بيع منتجات أغنامهم من الجميد واللبن والجبنة والصوف واللحوم في أسواق البلدات القريبة، وكان التنقل من وإلى هذه التجمعات يتم إما على ظهور الدواب أو مشيًا على الأقدام، أو كان عليهم التحرك نحو الطرق التي تربط مدينة الخليل وجنوبها مع مدينة بئر السبع، وهي طرق عامرة بالقوافل وتجار المواشي ومنتجاتها، وذلك قبل احتلال بئر السبع وقطع الطرق والتواصل الطبيعي بينها وبين مدينة الخليل.

ومنِ اللافت أن بعض خرب وعزب مسافر يطا ما زالت حتى اليوم لا تمتلك طريقًا يمكنك الوصول إليها بالسيارة، وعليك البحث عن سيارة دفع رباعي أو جرار زراعي ليحملك إليها، وإلا فإنك مضطر للمشي على قدميك لحين أن يلحق بك أحد الرعاة ويحملك على دابّته.

وعند الحديث عن هذه التجمعات في مسافر يطا وما تتسم به من طبيعة معيشية وحياتية قاسية، نلحظ أنّ سكان القرى المبحوثة هُم من أصحاب الثروة الحيوانية بالدرجة الأولى، وأن حياتهم اعتمدت على رعي الأغنام، الأمر الذي دفعهم للعيش في هذه المناطق النائية وشبه الصحراوية، ذات الطبيعة الجافة، وذلك ليحافظوا على نمط حياتهم ويكونوا قادرين

17 الحاجة حليمة محمد يوسف أبو عرام (1942)، تاريخ المقابلة 18 آيار 2019، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا./ خليل سليمان إسمير الكعابنة (1959) تاريخ المقابلة: 28 حزيران 2019م، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.

على تربية المواشي والرعي بها دون التصادم مع الأهالي في القرى والتجمعات المُستقرة التي لا تتسع لمثل هذه الأعداد من الأغنام.

وقد خلقت العشائر والعائلات المستقرة في التجمعات المتناثرة على قمم التلال في مسافر يطا قرى عائلية صغيرة حافظت على نمط حياة خاص بهم، وكونوا ثقافة متقاربة ومتناغمة بين شخصيتهم وطبيعة الجغرافيا التي يعيشون عليها، ولذا فإنه يصعب عليهم التخلي عن هذه المناطق والبحث عن الاستقرار، عدا عن الاندماج في مكان آخر، وخصوصًا مع ثباتهم واستقرارهم في هذه التجمعات بشكل دائم نهاية الستينيّات - بداية السبعينيّات بفعل سياسة الاحتلال التي حاولت تقييد حركتهم ومنعهم من التنقل خلف المرعى الخصب، إذ كانوا عند محاولة العودة لمكان التعزيب (العزب)[18] في السهول البعيدة عن الخرب التي يقطنونها يواجهون تضييق جيش الاحتلال ومنعهم من الإقامة فيها مجددًا، ولذا فإنهم استقروا في هذه الخرب والتجمعات وصار وجودهم فيها ثابتًا ودائمًا، وفيها تشكلت طبيعتهم وخصوصيتهم وبنيت ثقافتهم المحلية بما يتناغم مع هذه الجغرافيا القاسية[19].

ثالثًا: فتح أبواب الجحيم

رداً على سؤالي: متى بدأت الموجة الاستعمارية لاقتلاع الأهالي من المسافر، وبأي خطوة بدأ الاحتلال سياسته الهادفة لترحيلهم؟ كان الأهالي يبدأون الحديث عن اللحظة التي عرفوا فيها الاحتلال عام 1948م، ذلك أن التنكيل والملاحقة والتضييق بدأت مع احتلال المنطقة المجاورة لهم في بئر السبع وتل عراد، ويروي الأهالي تفاصيل كثيرة عن أحداث مهمة حدثت بين الأعوام 1948-1967 في مسافر يطا ومنها:

- حرق المحاصيل والهجوم على الخرب: سنة 1949م بعدما قام الناس بحصاد القمح في منطقتي البيوض والحلاوة من أراضي المسافر، أشعل جيش الاحتلال النيران في بيادر القمح وأجبر الناس على ترك محاصيلهم ومقاثيهم خلفهم[20]، وسارع الشباب من عرب الرشايدة وأهالي يطا لصد هجوم الجيش، ويومها امتد الاعتداء إلى آخر النهار وشمل خربة جنبا في المسافر.

18 التعزيب: عزبة مُفرد والجمع عِزَب وعزبات، والمُعزّب تُقال لوصف الشخص المُقيم بالعزبة، والعزبة في سياق البحث هنا تعني التجمع الصغير المسكون على أطراف المناطق المسكونة وتكون تجمعات للرعي، وفيها بيوت/ خيام وأماكن إقامة مؤقتة أو شبه دائمة لأصحاب الأغنام والمزارعين، والتعزيب بمعنى الانتقال للإقامة بهذه العزب لرعي المواشي.

19 ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية (مصدر سابق)

20 المقاثي: جمع مقثاة وهي الأرض السهلية التي تفلح وتزرع بالمحاصيل الصيفية كالبامية والفاصوليا والبندورة والبطيخ والفقوس والذرة الصفراء والعصفر.

- إطلاق النار وإصابة عدد من الشباب: على إثر طرد الأهالي من خربتي البيوض والحلاوة بعد إحراق المحاصيل، سعى بعض الأهالي للعودة بالخفاء لأراضيهم الزراعية التي أخرجوا منها بالقوة لإحضار شيء من المحاصيل التي تركت خلفهم في المقاثي (خضرة ودخان)، ولما عبروا المنطقة أطلق جيش الاحتلال النيران عليهم ما أدى إلى إصابة بعضهم واعتقال آخرين من بينهم نساء، وقد تم احتجازهم ليوم قبل أن يطلق سراحهم في اليوم التالي[21].

- في العام 1952م هاجمت دورية من جيش الاحتلال أحد تجمعات البدو في أطراف مسافر يطا، وقاموا بإحراق الخيام وبيوت الشعر التابعة لبدو شرق مسافر يطا لدفعهم إلى مغادرة المنطقة وعدم العودة إليها[22].

- بقيت المنطقة الحدودية بين مسافر يطا والأراضي المحتلة عام 48 في بئر السبع وتل عراد مُتوترةٍ فيها مناوشات وإطلاق نار ومُلاحقة للرعاة ومنعهم من التواجد، خاصة وأن المناطق شبه الصحراوية لم تغلق بشكل كُلي، حتى بداية العام 1967م.

- معركة المجاز[23]: في 15 آذار عام 1967 وقعت معركة بين رُعاة الأغنام ودوريات جيش الاحتلال على أطراف مسافر يطا، إذ حاول جيش الاحتلال التقدم نحو المسافر لملاحقة مجموعة فدائية، كما قيل في حينها، قامت بتفجير أنابيب المياه، وعند دخول جيش الاحتلال للمناطق التي يُقيم فيها الرعاة، حاول الجنود حرق خيامهم والانتقام منهم، ما حرك الناس للدفاع عن أنفسهم وعن تجمعاتهم، وفي هذه الأثناء تحرك عناصر (مخفر أم الدرج) لصد الهجوم، ثم انتقلت المواجهة إلى خربة المجاز بمشاركة البدو وسكان الخرب من أهالي يطا، وحسب رواية الأهالي، فقد استخدم جيش الاحتلال طائرات الهليكوبتر لنقل الجنود من تل عراد للمنطقة، وظلت الطائرات تحلق في سماء المنطقة، أثناء المواجهة مع الأهالي، وقد انتهت المعركة عند الساعة السادسة مساءً مخلفة عددًا من الشهداء والإصابات في صفوف الأهالي[24].

---

21 الحاجة وضحة جبرين سليم الجبارين (1943). مقابلة بتاريخ 5 تموز 2019، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.

22 خليل سليمان إسمير الكعابنة (1959) تاريخ المقابلة 28 حزيران 2019م، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.// السيد موسى عبد الله عوض (1959م) خربة اصفي الفوقا. تاريخ المقابلة: 6\5\2023 .

23 الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967. مؤسسة الدراسات الفلسطينية- بيروت، الطبعة الأولى 1969، الصفحة: 585.// خليل سليمان إسمير الكعابنة (1959) تاريخ المقابلة 28 حزيران 2019م، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.

24 وبحسب ما يرويه الأهالي فإن عدد الشهداء ثلاثة وهُم: 1- طلب عقل الشواهين. 2- علي محمود نصار الشواهين. 3- أحمد ذياب صبيح أبو علي. وكان بلاغ رسمي حمل الرقم 5 صدر عن القيادة العامة لمنظمة أبطال العودة يتبنى العملية ويصف تفاصيلها (الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967. مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت. الطبعة الأولى 1969، الصفحة 112).

مهدت هذه الاعتداءات التي سبقت احتلال الضفة الغربية لسياسة جيش الاحتلال في مسافر يطا بعد السيطرة على المنطقة، ففتحت أبواب الجحيم على الأهالي القاطنين هناك، وصارت الاعتداءات تحدث يوميًا دون ضجيج أو توثيق، وسارع جيش الاحتلال لمنع تطور التجمعات واستقرارها، أو إضافة أي بناء، بل وهدم الكثير من المنشآت وَرَحّل أصحابها بالقوة.

ويشير بعض الأهالي أن استهداف المنطقة بدأ مُباشرة بعد عمليات إحصاء السكان ومسح الأراضي وتصنيفها كأراضي دولة ومناطق عسكرية، لتبدأ في سبعينيّات القرن الماضي عمليات إنشاء وتوسعة المستعمرات في محيط مسافر يطا، وصارت هناك جغرافيا جديدة يفرضها الاحتلال على الأرض، حيث أصبح التواجد السكاني ورعي الأغنام خاضعًا لمزاج ورؤية مشاريع الاستعمار الاستيطاني النشط في تلك المنطقة، وفي تلك الأوقات بدأ الوجود العربي شبه المُستقر يعيش حياة القلق اليومي، لأن الاستعمار قطّع الأرض وصادرها ودمّر المراعي، وصار على أصحاب المواشي البحث عن البدائل التي رفعت من كلفة الحياة، كاعتمادهم على الأعلاف كغذاء لأغنامهم، وصارت الزراعة تتم في الشعاب والمناطق الجافة البعيدة عن معسكرات جيش الاحتلال والمستعمرات الصهيونية[25].

وبحسب الأهالي، فإن صراعهم مع جيش الاحتلال وقوانينه وإجراءاته التعسفية لم يتوقف لحظة، بيد أنّ الحرب المفتوحة عليهم بدأت بعد القرار العسكري الذي يحمل الرقم 918، القاضي بتحويل أراضي المسافر إلى مناطق تدريب عسكري، الأمر الذي تتابع في السنوات اللاحقة فازدادت هذه المساحات من خلال قرارات مماثلة، وبذا صار الاحتلال يُلاحق ويعتقل أي فلسطيني من قرى المسافر القائمة والمستقرة، والتي يعتمد أهلها على الزراعة وتربية المواشي، تحت حجة عدم امتلاكهم تصاريح لدخول مناطق التدريب العسكري.

ثم بعد ذلك، فُتحت أبواب جحيم الهجمة الاستيطانية الشرسة على أرضهم، فأقيمت عشر مستعمرات وبؤر استيطانية منها[26]: ماعون (1981) حافات ماعون، كرمئيل (1981)، أفيجايل (1981)، ويعقوب دالي، وأحيطت المنطقة بحواجز دائمة للجيش كحواجز: منيزل، وكرمئيل، وحاجز بين يطا والكرمل، بالإضافة لعشرات الحواجز الطيّارة وغير الثابتة، وصار هناك عمل منظم ومبرمج يتناوب على القيام به جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين الكولونياليين، الأمر الذي تكثّف في الأعوام العشرين الأخيرة، ولذا صار عليهم مقارعة المستعمرين وصد اعتداءاتهم اليومية، ومتابعة القضايا القانونية لمواجهة قرارات جيش الاحتلال عبر المحاكم، هذا الجيش الاستعماري الذي بدأ يغير من قواعد التعامل مع أهالي المسافر لصالح الاستعمار النشط في المنطقة.

25 الحاج عزات علي عبد الله مخامرة (1958)، (خربة إصفيّ الفوقا)، مقابلة شفوية بتاريخ 6 أيار 2023م.
26 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 2012-1870. ترجمة واعداد: على نجم الدين، صادر عن هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، الطبعة الأولى 2014. // ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية (مصدر سابق).

ويتضح من سياسة الاحتلال الجديدة في منطقة المسافر أنها شرعت بتوسيع المستعمرات ونفوذها، وشق طرق تخدم سرطان الاستيطان الصهيوني، وتربط المستعمرات معاً، وبدأت، كذلك، سلسلة الملاحقة عبر هدم البيوت والبركسات والحظائر وتجريف ما يتم إعماره وزراعته، واعتقال ونصب الحواجز وتضييق الحركة وتقييدها.

ومع خلق ظاهرتي: (فتية التلال) و(الاستيطان الرعوي) صار سكان التلال الصهاينة المُصنفة بأنها مناطق عسكرية يُلاحقون العرب، ويمنعونهم من الرعي في أراضيهم بالقوة المُفرطة، وبدأت تتوالد البؤر الاستعمارية تباعًا، وصارت المراعي والتلال مسرحًا لبطش المستعمرين وممارسة العربدة والسرقة التي يحميها جيش الاحتلال، الذي يُسارع لحمايتهم وتوفير الغطاء لهم، وأصبح نهج المُستعمِرين في هذه المرحلة الاستفراد بكل تجمّع على حدة، ثم الاستفراد بالرعاة والأهالي وتنفيذ الاعتداء والانسحاب قبل توثيق الأهالي وصدهم للاعتداء[27].

احدى خرب مسافر يطا

27 علاء هذالين (مصدر سابق).

مغر وبيوت من صفيح في مسافر يطا

رابعًا: المحاكم .. ومطاردة السراب[28]

- في 25/12/1972 أصدر الحاكم العسكري الإسرائيلي قراره رقم 918 والذي بموجبه وحسب تعديلاته التي تمت (1980) و(1982) فقد اعتبرت قرابة 32 ألف دونم من أراضي مسافر يطا منطقة إطلاق نار، فأصبحت منطقة عسكرية مُغلقة يمنع دخول الأهالي أليها أو تواجدهم فيها، وبهذا فإن جيش الاحتلال اعتبر المنطقة بلا سكان، وعليه فكل المتواجدين في المنطقة مُعرضون لخطر التهجير والإخلاء القسري، باعتبار وجودهم غير قانوني.
- بدأ جيش الاحتلال تشديد إجراءاته وسياساته تجاه مسافر يطا والمقيمين فيها، وصارت الزراعة ورعي الأغنام تشكل تحديًا يوميًا مع جيش الاحتلال وإجراءاته التي لاحق الأهالي بها، كإطلاق النار، ومصادرة الأغنام ونقلها لمعسكر الكرنتينا في بئر السبع، وكذلك منع التواجد في الخرب أثناء التدريب وهدم أي منشأة أو مرفق جديد[29].
- بناءً على القرار العسكري 918، واستمرارًا لسياسة جيش الاحتلال ضد أهالي المسافر، فقد تم في العام 1999م طرد نحو 700 فلسطيني من تجمعات مسافر يطا، وذلك بحجّة تواجدهم في منطقة تدريبات عسكرية، وأن إقامتهم فيها جديدة، حيث أخلاهم جيش الاحتلال بالقوة ودمّر منازلهم وممتلكاتهم أو صادرها، وقد تعارض هذا الإخلاء مع أمر عسكري قائم ينص على عدم سريان القيود المتعلقة بمناطق إطلاق النار على السكان المتواجدين في المنطقة، وعلى إثر هذا الاعتداء لم يعد وجودٌ لخربتَيْ صارورة وخرّوبة بعد هدم وتجريف كامل منازلهم.
- سارع الأهالي لتقديم التماسات للمحكمة (الإسرائيلية العليا)، رفضًا للأمر وسعيًا لاستعادة حقهم في العودة إلى قراهم وبيوتهم التي دمّرها جيش الاحتلال، فأصدرت المحكمة العليا في آذار 2000 أمرًا احترازيًا (مؤقتًا) يقضي بالسماح لهولاء الأهالي بالعودة إلى قراهم ومنازلهم، وأن لهم الحق في استخدام مراعيهم لحين البت في الالتماس.
- بتاريخ 26/3/2003 استأنف جيش الاحتلال ملاحقة أصحاب الأغنام، مُجبرًا إياهم على مغادرة المناطق المُغلقة ونقل قطيع من الغنم إلى (مستوطنة قاد) وأطلقت النيران على هذه الأغنام بشهادة أصحابها[30].
- بقيت القضية مُعلّقة في المحاكم وخاضعة للتداول والتأجيل، وبقي الأهالي في حالة قلق وترقّب لما يحدث، ولم تتوقف سياسة جيش الاحتلال في ترويعهم وملاحقتهم والتضييق عليهم في الحركة والتنقل

28 انظر تفاصيل ذلك في: أ- ورقة حقائق: التجمعات السكانية في مسافر يطا معرضة لخطر الترحيل القسري. مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، حزيران/ يونيو 2022م // ب- ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية (مصدر سابق).

29 السيد عيسى يونس محمد أبو عرام (1974) خربة جنبا، مقابلة بتاريخ 6 تموز 2019م. المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.

30 السيد عيسى يونس محمد أبو عرام (1974) خربة جنبا، (مصدر سابق).

- واستخدام المراعي، بل بدأت المستعمرات بالتوسع والتمدد واستخدام الأراضي لأغراض الزراعة، ويروي الأهالي حالات إطلاق نار على الأغنام أثناء التدريب وقتلها وتعريض حياة الرعاة للخطر لمباغتتهم بإطلاق النار أثناء نومهم في هذه الخرب والعِزَبْ[31].
- في جلسة 19/7/2012 أكد جيش الاحتلال على حقّه في هدم وإخلاء 8 تجمعات عربية في مسافر يطا بحجة أنها في المنطقة العسكرية، وهذه التجمعات هي: (خربة اصفيّ التحتا والفوقا، خربة حلاوة، خربة الفخيت، خربة المجاز، خربة المركز، خربة جنبا، خربة خلّة الضبع، خربة التبّان)، مع إتاحة الإمكانية لأهالي هذه التجمعات للوصول إلى أرضهم لزراعتها والرعي فيها فقط في نهاية الأسبوع وخلال العطل اليهودية، الأمر الذي كان مرفوضًا من الأهالي والجهات الإنسانية والقانونية التي تمثلهم.
- قدم الأهالي التماسات جديدة في العام 2013 وصدر أمر احترازي من المحكمة بمنع طرد السكان لحين البت النهائي بالالتماسات.
- وفي جلسة المحكمة العليا في آب/ أغسطس 2020 كرّر جيش الاحتلال ادعاءه بأن الأهالي لم يكونوا مُقيمين دائمين في المنطقة المعلنة مناطق عسكرية قبل عام 1980م، الأمر الذي يتيح للدولة طلب إجلائهم وإخلائهم منها لأنه لا حق لهم في البقاء فيها.
- في تموز/ يوليو 2020 قُدم للمحكمة العليا محضر جلسة محاكمة عُقدت في العام 1981م، حيث وجهت وزارة الزراعة الإسرائيلية بموجبه تعليماتها لجيش الاحتلال بإقامة مناطق إطلاق نار في المنطقة، لإجبار الأهالي المقيمين فيها على تركها وإخلائها.
- في 4 أيار/ مايو 2022م توّجت سلطات الاحتلال إجراءاتها بقرار المحكمة برد الالتماسات وقبول ادعاءات جيش الاحتلال، وبالتالي شرعنة القرارات الرامية لاقتلاع الأهالي من 13 تجمعًا عربيًا في مسافر يطا، وذلك بادعائها أنه لا توجد عقبات قانونية تحول دون تنفيذ الخطط الرامية لطرد السكان الفلسطينيين لإتاحة المجال أمام التدريبات العسكرية، وبهذا يكون الأهالي في هذه التجمعات معرضين بشكل حقيقي لخطر الإخلاء القسري والتهجير التعسفي، في الوقت الذي يقوم المستعمرون يوميًا بإنشاء بؤر ومستعمرات في قلب مسافر يطا، وتسارع دولة الاحتلال لحمايتهم وتقديم الخدمات والبنى التحتية التي تشجعهم على مزيد من السيطرة والتمدد.

31 السيد عيسى يونس محمد أبو عرام (1974) خربة جنبا، (مصدر سابق).

خامسًا: فُقدان الحقوق والحرمان من الخدمات

تفتقر مسافر يطا لأدنى حقوقها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تجعل هذه المناطق مُستقرة وصالحة للحياة، وتعيش قرى وتجمعات المسافر في بيئة قاسية، فيما تعتبر ظروفها الإنسانية والخدماتية من أصعب الظروف للتجمعات الفلسطينية التي تواجه ملاحقة وخطر سلطات الاحتلال في اقتلاعها.

ويجمع النشطاء العاملون في مسافر يطا بأنه خلال الأعوام العشرين الماضية أصبح فعل جيش الاحتلال والمستعمرين الإجرامي مُنظمًا وأكثر وضوحًا وتكثيفًا وتتابعًا لأجل تحقيق مخططات الترحيل والسيطرة، ولذا صار بإمكاننا قراءة المشهد بصورة أكثر وضوحًا، خصوصًا مع وجود توثيق النشطاء اليومي لكثير من الاعتداءات، وصارت هناك عناوين واضحة للصراع ومحاولة السيطرة الاستعمارية[32].

ومن عناوين التحديات الأساسية المتعلقة بحقوق الأهالي في مسافر يطا:

1- تحدي الماء:
لاحق الاحتلال عدّة مرات خطوط الماء التي حاولت الجهات الدولية المانحة تقديمها لـ 11 تجمعًا في المسافر وقام بتدميرها بحجة أنها غير قانونية، ولا يزال يلاحق هذه الخطوط، كما أنه يمنع عمليات بناء الآبار الجديدة أو توفير خزانات الماء الصالحة للشرب الآدمي ولسقي الأغنام، ونجد جيش الاحتلال حاضرًا بلا تردد لهدم الآبار والخزانات وردمها، ومؤخرًا، أطلق عصابات المستعمرين الجُدد الذين حلّوا في التلال لمزاحمة الأهالي على آبار الجمع القائمة، وشرّع لهم سرقة وتخريب أي وسيلة لنقل وتخزين الماء، وصارت قضية الماء في المسافر سببًا لدفع الناس إلى التفكير بشكل يومي بالنزوح والتخلي عن أرضهم لاستحالة استمرار الحياة بشكل طبيعيّ في ظل خنقهم بمصدر الحياة الأساسي، كل ذلك والمستعمرات تغرق بفائض المياه الجوفية التي تسرقها من أراضي المسافر، وتكفي احتياجها للشرب والزراعة وتطوير حياة المستوطنات.

2- لا كهرباء:
يتعامل الأهالي مع الكهرباء كشيء كماليّ، لا باعتبارها أساسًا للحياة، في ظل منع تمديد شبكات كهرباء تخدم تجمعات مسافر يطا، واعتمادهم على المولدات والطاقة الشمسية، في الوقت الذي تنعم فيه المستعمرات المجاورة والبؤر الناشئة بخدمات كاملة من الكهرباء والبنى التحتية، وفي تجمع أم الخير مثلًا يكون الفارق مُثيرًا للانتباه والملاحظة، إذ تخترق شبكات

32 علاء الهذالين (مصدر سابق).

الضغط العالي سماء القرية لربط المستعمرة المحاذية بالكهرباء، فيما تعيش القرية تحدي السماح لها بتركيب خلايا طاقة شمسية تقدمها المؤسسات الدولية والجمعيات الأجنبية.

وفي التجمعات الأخرى في مسافر يطا، فإن الحال أسوأ مما هو عليه في أم الخير، حيث تقوم سلطات الاحتلال بمصادرة الألواح التي تعمل على الطاقة الشمسية، وفي بعضها يتولى المستعمرون مهمة إتلافها وتخريبها.

3- تحدي التعليم ومنع إنشاء المدارس:

من القضايا التي لا يمكن تجاهلها: قضية التعليم وبناء المدارس لأبناء التجمعات في مسافر يطا، حيث كان على الأطفال المشي لمسافات طويلة كي يصلوا لأقرب مدرسة مُعترف بها، الأمر الذي شكل تحديًا للأهالي مع القلق والخوف المستمرين على سلامة أبنائهم في ظل انعدام الأمن وتواصل الاعتداءات من قبل المستعمرين، ناهيك عن الظروف القاسية التي على الأطفال المشي فيها صيفًا وشتاءً في مناطق مفتوحة وبعيدة، وفيها الكثير من المخاطر، أقلها الأفاعي والحيوانات المفترسة والكلاب الضالة وضربة الشمس صيفًا، و السيول وجريان الوديان شتاءً، كما أن الطرق التي يمرون بها طرق ترابية غير معبدة ومنقطعة، وحركة الناس فيها قليلة، مما يشكل خطرا على الأبناء، الأمر الذي دفع الكثيرين منهم للتسرب من المدرسة وترك التعليم، وقد سارعت جهات دولية مانحة لبناء مدارس في أربعة تجمعات تخدم الأطفال وتحول دون تركهم للتعليم وحرمانهم من أدنى حقوقهم الإنسانية، غير أن هذا الحق رفضه الاحتلال الذي سارع لنسف وهدم مدرسة التبان واصفي في المسافر، ووزع إخطارات بالهدم لبقية المدارس.

وهذا الأمر ينطبق على المراكز الصحية والعيادات الطبية التي يحتاجها الأهالي للحصول على الخدمات الأساسية لأبناء هذه القرى، ذلك أن العيادة الحكومية تكتفي بدوام يوم واحد أسبوعيًّا، وأية حالة مرضيّة طارئة يضطر الأهالي لنقلها إلى بلدة يطا[33].

4- لا بناء أو تطوير:

في مسافر يطا كما في كل التجمعات المصنفة بأنها مناطق (ج) يمنع استحداث أي بناء أو إصلاحه وتطويره، مهما كانت الحاجة ملحة وضرورية للأهالي، وكما يقولون: فإن سلطات الاحتلال لا تتردد بإخطار الأهالي

33 السيد علي محمد علي الجبارين (1956)، مقابلة بتاريخ 4 أيلول 2019، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا.// السيد موسى عبد الله عوض (1959م) خربة اصفي الفوقا. مقابلة بتاريخ 6\5\2023 .// الحاج عزات علي عبد الله مخامرة (مصدر سابق).

بهدم هذه الأبنية، بل تُسارع من تلقاء ذاتها لهدمها ولا تترك للأهالي فرصة الترافع عنها وتقديم أوراقها للمحاكم، وقد هدم جيش الاحتلال مئات الأبنية والبركسات، واقتلع الخيام ومنع أي تصليح أو إضافة لأي شيء قائم.

5- النفايات والصرف صحي:
لا يسمح الاحتلال لأهالي مسافر يطا بمجرد التفكير بالحصول على خدمات البنية التحتية المرتبطة بشبكة الصرف الصحي، أو حتى خدمة جمع النفايات والتخلص منها بما لا يضر البيئة، وفوق ذلك فإن الوديان المحيطة بهذه التجمعات تغرق بالمياه العادمة من المستوطنات المقامة في المنطقة.

سادساً: تكثيف الاستيطان والدفع نحو اقتلاع الأهالي.

على إثر القرار الصادر من محكمة الاحتلال والذي أجاز للجيش اقتلاع أهالي مسافر يطا منتصف عام 2022م، بدأت موجة جديدة من سياسات الاحتلال في فرض وقائع جديدة على الأرض تهدف إلى التضييق على الأهالي، ودفعهم لترك قراهم ومنازلهم، وفي ذات الوقت، تدفع إلى المنطقة عشرات المستعمرين ضمن ظاهرة (الاستيطان الرعوي)، فصار هناك خطّان فاعلان، الأول: يقوم على التضييق على الأهالي لترك المسافر، والثاني: تسهيل سيطرة الاستيطان على الأرض.

وحتى كتابة هذا التقرير فإن الاعتداءات لم تتوقف وعمليات الرصد والتوثيق أصبحت قاصرة عن الإحاطة بها، إذ صارت الاعتداءات يومية، بل في كل لحظة ليلًا ونهارًا، نسمع شكاوى واستغاثات الأهالي في مسافر يطا وتجمعاتها.

وبدأت موجة مُتسارعة من إخطارات المُصادرة لصالح شق طرق أو توسعة مستعمرات، وصار التدريب العسكري يُحيط بالخرب وأهلها، ودون تردد، سارع جيش الاحتلال إلى هدم عشرات المنازل في خربتي الفخيت والمركز، وسلمت إخطارات هدم المنازل في خربة التبان وخلة الضبع[34].

وصار مألوفًا للأهالي إقتحام جيش الاحتلال بيوتهم ليلًا وتفتيشها وقلبها رأسًا على عقب، وأحيانًا تصوير الأهالي واعتقال بعضهم والاعتداء عليهم وترويعهم، ونتيجة اعتداءات المستعمرين اليومية فُقِدَ الشعور بالأمن، وخلقت حالة نفسية صعبة، وبات القلق دائمًا لدى الجميع، مما أثر على صحتهم النفسية والعقلية، وصارت مشاهدة المسلحين من المستعمرين يجوبون المراعي ويحرقون القش والمراعي ويتلفون المحاصيل ويعتدون على الرعاة والمارين من الطرق التي يتم إغلاقها من قبلهم أمرًا مألوفًا،

34 علاء الهذالين (مصدر سابق).

وكذلك تخريبهم وسرقتهم لأي شيء يستطيعون الوصول إليه، بما في ذلك حديقة الأطفال في محمية أم الخير، التي خُرّبت الألعاب فيها، وهو استمرار لما فعله جيش الاحتلال عام 2019 بتجريف أشجار محمية أم الخير[35].

سياسة مرعبة لم يسلم منها أحد، حتى أصبح وجود جيش الاحتلال في المنطقة مؤشرًا على الخراب والهدم، وهاجسًا ينبّه لخطر ملاحقة الكبار والصغار، ذلك أن جيش الاحتلال لا يتورع عن إرهاب الأهالي، وتعريض حياتهم للخطر، كما حدث لأحد رموز الصمود والمقاومة في مسافر يطا، وهو الشيخ سليمان الهذالين (70 عامًا)، الذي تعرض للدهس في 5 يناير 2022 على مدخل قريته أم الخير في مسافر يطا من مركبة عسكرية تابعة لجيش الاحتلال[36].

وعلى الرغم من سعي بعض الجهات الدولية الإنسانية والحقوقية للتواجد في منطقة مسافر يطا، وتقديم بعض المساعدات التي تحول دون تهجير الأهالي قسريًا، مُلبية بذلك بعض احتياجاتهم الأساسية بما فيها المياه والكهرباء، إلا أن سلطات الاحتلال لا تكف عن مراقبة الأنشطة والحياة في المسافر، لتسارع الإدارة المدنية وجيش الاحتلال لمنع هذه المساعدات بإصدار أوامر وقف العمل وتباشر بهدم وتجريف الأبنية كالمدارس، ومصادرتها للمعدات والمركبات، وإقامة الحواجز وفرض قيود على الوصول لهذه التجمعات[37].

ومن أعجب ما يرويه الأهالي أنّ أية مُحاولة لصد اعتداء وهجوم المستعمرين المسلحين ورد عدوانهم على الرعاة أو أهالي التجمعات بالأيدي أو بالحجارة ينتهي بتدخل شرطة وجيش الاحتلال التي تُسارع لاعتقال الفلسطينيين وتقديمهم للمحاكمة بتهمة الاعتداء والهجوم على المستعمرين[38].

سابعاً: أثر مخططات الاقتلاع والتهجير على الأهالي[39]

يستمد أهالي التجمعات المُقيمة في مسافر يطا كرامتهم بتمسكهم بطريقة حياتهم وخصوصيتهم الثقافية التي راكموها عبر نمط الحياة الخاص بهم في هذه القرى العائلية المُتباعدة، الأمر الذي سينتهي في أي لحظة يتم فيها تهجيرهم القسري واقتلاعهم بالقوة من قراهم، إذ سيكون عليهم العيش في بيئة جديدة وفق أنماط معيشية مختلفة عن تلك التي شكلت شخصيتهم وهويتهم في قراهم لعدّة عقود.

35 بحسب مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأرض المحتلة (بتسيلم) فقد تم تجريف المحمية واقتلاع نحو 800 شجرة حرجية وكذلك هدم السياج وتخريبه خلال يومي الأربعاء والخميس 4-3\7\2019م.
36 الشيخ الحاج سليمان عيد الهذالين من مواليد عام 1952م، توفي في 17/1/2022 متأثرًا بحادثة الدعس التي تعرض لها من سيارة عسكرية اسرائيلية في مسافر يطا.
37 علاء هذالين (مصدر سابق).
38 الحاج موسى عبد الله عوض (1959م) خربة اصفيّ الفوقا. تاريخ المقابلة: 6\5\2023
39 ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية (مصدر سابق).

وفي المجتمعات التي سيرحلون إليها سيكونون بلا رصيد اجتماعي، وبلا خصوصية معيشية، وسيكون عليهم البحث عن طريقة لتوفير المأوى والمبيت لهم ولأغنامهم ومواشيهم، في الوقت الذي سيكونون مُضطرين لبناء شبكة علاقات جديدة تُسهم بتقليل الأضرار الناتجة عن الاقتلاع والتهجير القسري، الأمر الذي سينعكس على مصدر دخلهم ومستوى معيشتهم، وسيتحول الكثيرون منهم إلى أسواق العمل المحلية وإلى العمالة في المستعمرات.

وستكون هذه التجمعات مُعرضة للتفكك والتمزق، ذلك أن هذه القرى العائلية تضم في معظمها الجد والأبناء والأحفاد وعائلاتهم وأطفالهم، وهو ما يُعرف بالعائلة الممتدة، وباعتمادهم جميعًا على تربية الأغنام، فالتهجير لا يترك إمكانية استيعاب العائلة الممتدة في تجمّع جديد، مع توفير مكان مناسب للعيش والاستقرار وبناء بيوت مُتقاربة، ولذا سيكونون مُجبرين على التشتت والتوزع في أماكن وقرى عدّة، ما سيترتب عليه فقدان الاعتمادية المتبادلة، وهذا تخريب مُمنهج لخصوصية ونسيج هذه العائلات والقرى.

كما أن تهجير التجمعات الـ13 في مسافر يطا، والتي تعتمد على الثروة الحيوانية بدرجة أولى، سيدفعهم للتخلي عن نمط معيشتهم، لأن تجمعات مسافر يطا الأخرى لن تكون قادرة على استيعابهم كونها محدودة الأرض ومخنوقة الحدود بفعل مضايقات الاحتلال والمستعمرين، فلا المكان ولا المراعي لستة تجمعات تستطيع استقبال 13 تجمعًا، كما أن البلدات والمدن الفلسطينية الكبيرة المحيطة بمسافر يطا لا تستوعب هذه الأعداد من المواشي والأغنام لانعدام الأراضي الكافية، والمناطق المناسبة لهم، وهو ما يعني بيع هذه الأغنام، الأمر الذي سينعكس على مستوى المعيشة للمُهجرين من أهل المسافر في ظل انعدام البديل الاقتصادي

وعدم امتلاكهم مهنًا وحرفًا ووظائف بديلة تغطي احتياجاتهم ومصاريفهم.
وهو ما يشير إليه الأستاذ عبد الله حماد من مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان:
"إن الهدف من ترحيل التجمعات الفلسطينية من مناطق (ج) هدف سياسي، وهو ما تحاول كل أذرع الدولة الاستعمارية تنفيذه، وتتسارع الخطوات والإجراءات في الفترة الأخيرة لتحقيقه، لكن انعكاسات هذا الترحيل على البدو في وادي السيق وعلى التجمعات الفلسطينية في مسافر يطا مثلًا يتجاوز البُعد السياسي، وسيكون له آثار خطيرة على بنية العائلة والمجتمع البدوي أو التجمعات القروية التي تعتمد التعزيب وتربية الأغنام كنمط معيشة (النصف فلاحي - النصف بدوي)، فترحيلهم من أراضيهم، يعني

الرحيل إلى مكان آخر بذات الظروف، وبالتالي سيكونون ملاحقين من جديد من قبل أذرع الدولة الاستعمارية، وهو ما يتعرضون له منذ عام 1967 في الضفة الغربية، وكما يتضح، فالوقت ليس في صالحهم، ذلك أن الدائرة تضيق عليهم وتقل أمامهم خيارات التنقل والإقامة، والخيار الثاني: هو الرحيل نحو أطراف المدن والقرى الفلسطينية، والأمر مختلفٌ هنا؛ لانعدام أماكن ومساحات الرعي المناسبة، كما أن طريقة ونمط حياتهم ستتغير، وسيكونون مجبرين على التخلي، تدريجيًا، عن نمط حياتهم، لأجل التأقلم مع طبيعة الحياة الجديدة، بما فيها من تحديات ثقافية وعائلية ومعيشية، وسيجدون أنفسهم أمام تحديات وإشكاليات جديدة ستؤثر بشكل جوهري على ثقافتهم وهويتهم وخصوصيتهم»[40].

اطفال المسافر صامدون في وجه ممارسات الاحتلال العنصرية

40 الأستاذ عبد الله حماد - مستشار في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 2023\6\9.

ثامناً: الخلاصة

أدت سياسة الاحتلال تجاه مسافر يطا للحد من تطوير هذه التجمعات، وتدمير الحياة المُستقرة وفق نمط معيشتهم المُتمايز، وكذلك منعت إصلاح أو تحسين شروط الحياة الطبيعية، الأمر الذي يتهددها مع مواصلة التضييق والهدم بخطر الترحيل القسري كما حدث مع بدو عين سامية، أو خطر الاقتلاع والتهجير تحت قوة النار والرصاص، والمُغلفة بغطاء القرارات العسكرية لجيش الاحتلال.

وفي الحالتين، فإنّ تهجيرهم واقتلاعهم جريمة ينبغي الحيلولة دون وقوعها، ولأجل ذلك يطرق أهالي مسافر يطا جدارن الخزّان كُل لحظة لإيقاظ الضمير الإنساني ودفعه للتحرك قبل وقوع الكارثة التي لا محالة إن استمر الحال على ما هو عليه فإنها واقعة، وساعة إذ لن ينفع التباكي على الأطلال.

وعن صعوبة الوضع وتحدياته يقول المحامي في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان أ. وائل قط:
«الوضع بلا شك صعب والتحديات كبيرة، ولا يمكن التعويل على المنظومة القضائية لدى دولة الاحتلال في محاولة منع التهجير والاقتلاع في مناطق (ج)، لأنه لا يمكن فصل المنظومة القضائية عن سياسات الدولة الاستعمارية، وهناك حجج وقرارات يستخدمونها دائمًا لتبرير عمليات هدم المنازل واحتجاز الجثامين والاعتقال الإداري ..الخ. وهي تثبت الانحياز وغياب العقلانية، كما أن هامش المناورة والثغرات القانونية التي من خلالها نسعى لتوفير الحماية القانونية ضيق ومحدود، وهناك تتابع ممنهج في أوامر وضع اليد والقرارات والتشريعات والقوانين التي تُسَنّ لتخدم الأهداف الآنية وبعيدة المدى للمشروع الاستعماري في مناطق (ج) وعموم الأرض الفلسطينية المحتلة».

وبحسب كلام الأستاذ وائل قط: «المسار القانوني والترافع لدى محاكم الاحتلال ينبغي ألّا يكون الوسيلة الوحيدة للأهالي، وإنما ينبغي أن يكون هناك وسائل أخرى كالضغط والمناصرة المحلية والدولية لأنها قد تنجح في تأخير مخططات الاحتلال في المناطق المصنفة (ج)، ولذا من المهم في حالات مثل مسافر يطا وبدو وادي السيق وغيرها أن تكون هناك طرق مناصرة وحماية وتضامن شعبي ودولي يساند المسار القانوني، وألّا يُعَوّل كثيرًا على قرارات محاكم الاحتلال»[41].

41 الأستاذ وائل عبد الرحيم قط، محامي ومستشار قانوني في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 9\6\2023

إذن، ولِتثمر الجهود وتتضافر الأعمال لحماية المسافر، فإننا نحتاج خطة عمل يسندها الجهد القانوني والتضامن الإنساني الفاعل، بعيدًا عن ردّات الفعل الآنية، ذلك أن إحدى أشكاليات تعزيز الصمود في هذه التجمعات تكمن في أن الجهات الرسمية والإنسانية والحقوقية تتعامل معهم وفق ردّة الفعل، بلا مُخطط مدروس لتعزيز الصمود، ودون تقييم جدّيّ للأضرار والتحديات، وغالب المساعدات الإنسانية والقانونية وحتى التعويضات المالية تقدم بالحد الأدنى كردة فعل، ولا تغطي الاحتياج الحقيقي والأثر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والجيوسياسي لسياسات واعتداءات جيش الاحتلال وأدواته التي يستخدمها لتحقيق ما يعجز عن تحقيقه قانونيًا.

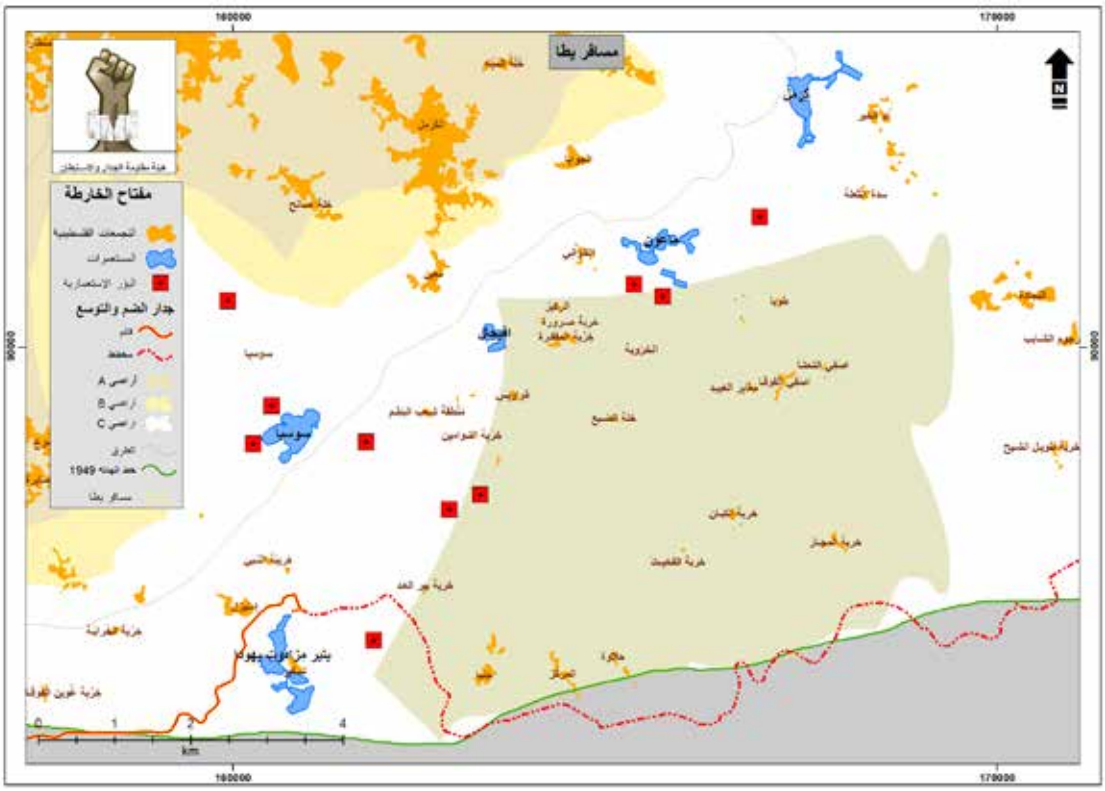

خارطة توضيحية لمنطقة مسافر يطا _ المصدر _ هيئة مقاومة الجدار والاستيطان

تجمُّع بدو
وادي السيق

تجمُّع بدو وادي السيق

مقدمة:
إن ما يحدث للتجمعات البدوية/ الرعوية في الضفة الغربية في الآونة الأخيرة، من موجة اعتداءات وملاحقة وضغط ممنهج لإجبارهم على ترك أماكن سكنهم وإقامتهم إنما هو صورة واضحة لسياسة الدولة الاستعمارية التي توظف أدوات جديدة لتحصد ثمار الإجراءات الاستعمارية التي عملت عليها منذ سنوات الاحتلال الأولى للضفة الغربية، وقد نجحت هذه السياسة في تهجير قسري للبدو في تجمع رأس التين البدوي، وتجمع بدو عين سامية، وتتكثّف الهجمة الآن على عدّة مناطق منها تجمع بدو وادي السيق، بذات الطرق والأدوات القديمة - الجديدة.

تدفعُ أدواتُ البطش والإرهاب البدوَ للرحيل وإخلاء السفوح الشرقية ومناطق شفا الغور، لصالح الاستعمار الرعوي الذي انتشر في الضفة الغربية انتشار النار في الهشيم، وذلك عبر الرُّعاة المُستعمرين الذين يعمد أحدهم لنصب خيمته في أي بقعة تحلو له، مُقتنيًا قطيعًا من الأغنام أو الأبقار، وينطلق من خلالها لترسيم حدوده ومنطقة رعيه الخاصة، التي يُمنع الفلسطينيون من الوصول إليها، وفوق ذلك كلّه، ينطلق هؤلاء المُستعمرون لمهاجمة التجمعات الفلسطينية القريبة منهم، والاعتداء عليها، مُشكلين حالة رُعب وعدم استقرار، ينفذون كل ذلك بمساعدة عصابات مُنظمة تساعدهم وتحميهم جميعُ مؤسسات دولة الاحتلال العسكرية والأمنية.

تجمع بدو وادي السيق شرق محافظة رام الله والبيرة هو حالة دراسية لما تتعرض له التجمعات الفلسطينية في مناطق (ج) عمومًا، وتجمّعات البدو في الأغوار والسفوح الشرقية من استعمارٍ ممنهجٍ.

أولًا: وادي السيق: الموقع وتاريخ التجمع

حين نتحدث عن تجمع البدو في وادي السيق، فإن من الأهمية التعريف بموقعٍ وطبيعة الموقع، بدءًا من الحضارات الأولى التي استقرت فيه، وانتهاءً بتكون التجمعات البدوية واستقرارها على جانبي الوادي.

1.1 الموقع وخصائصه

إلى الشرق من بلدة دير دبوان يبدأ مجرى وادٍ طويل يمتدُّ حوالي 20 كم، ويمضي منحدرًا نحو الغور حاملًا معه مياه الأمطار من قرى رمون – دير

دبـوان – ديـر جريـر تجـاه عيـن الديـوك، ويعـرف باسـم وادي المكـوك، فيمـا يُسـمى الجـزء الغربـي مـن الـوادي باسـم وادي السـيق، لضيـق وعمـق مجـراه المحفـور بيـن الصخـور علـى جانبـي مجـرى الـوادي[42].

ينخفـض الـوادي بالتدريـج بيـن منطقـة التـلال والسـهول الواقعـة فـي شـفا الغـور، ذات الطبيعـة الجافـة قليلـة الأمطـار، إذ يبلـغ متوسـط هطـول الأمطـار السـنوي فـي هـذه المنطقـة نحـو 250 ملـم، وعلـى طـول مجـرى الـوادي وعلـى جانبيـه مـن الأراضـي يمكنـك مشـاهدة المصاطـب الزراعيـة، والكهـوف التـي كانـت حتّـى وقـت قريـب يسـكنها الرّعـاة والمزارعـون، إضافـة لانتشـار آبـار الميـاه القديمـة، حيـث كانـت تلـك الأراضـي تـزرع فـي غالبيتهـا بالقمـح والشـعير وبعـض المحاصيـل الشـتوية البعليـة، فيمـا كانـت التـلال والجبـال الجـرداء مـع امتدادهـا فـي الغـور تُعتبـرُ مـراعٍ للأغنـام والمواشـي[43].

وطـوال الفتـرات التاريخيـة السـابقة، كان التواجـد الفلسـطيني فـي المنطقـة يتجلّـى مـن خـلال الزراعـة وتربيـة الأغنـام، وغالبيـة هـذه الأراضـي مُقسّـمة ومملوكـة لأهالـي قـرى شـرق رام اللـه، الذيـن اعتمـدوا عليهـا فـي مواسـم التعزيـب الشـتوي، وكذلـك فـي زراعـة السـهول العلويـة التـي تقـع فـي المسـتوى المنبسـط مـن شـفا الغـور، وخصوصًـا فـي المنطقـة الشـمالية والشـرقية مـن وادي السـيق والتـي تعـود ملكيـةُ جـزءٍ كبيـرٍ منهـا لأهالـي بلـدة ديـر دبـوان[44].

وكان الأهالـي فيمـا مضـى قـد عَمّـروا هـذه الأراضـي وفلحوهـا، وحفـروا فيهـا آبـار ميـاهٍ لسـقي مواشـيهم وأغنامهـم، ولا يـزال نحـو 50 بئـرًا قائمًـا حتـى اليـوم، وقـد تـم ترميـم 33 بئـرًا منهـا فـي الأعـوام 2014 - 2015، وهـي صالحـة لتجميـع ميـاه الأمطـار لاسـتخدامها فـي الشـرب وسـقي الـدواب[45].

وكان سـبب اعتمـاد أصحـاب هـذه الأراضـي علـى الآبـار لتجميـع ميـاه الأمطـار لاسـتخدامها فـي الشّـرب وسـقي الأغنـام، هـو انعـدام عيـون الميـاه فـي المنطقـة، إلا عيـن مـاء واحـدة فـي وادي السـيق وتبعـد 600 متـر عـن مركـز الديـر، وهـي ضعيفـة جـدًا، حاليًّـا، وتخفّ ميـاهها صَيفًـا، وتكـون أشـبه بالنـزّازة داخـل التجويـف الصخـري، ولـذا كان علـى أصحـاب الأغنـام صيفًـا فـي حـال جفـاف آبـار الجَمـع، التوجّـه لعيـون الميـاه الجاريـة فـي واد القلـط جنوبًـا، أو لعيـون المـاء فـي الغـور شـرقًا، أو عيـون الميـاه الواقعـة فـي الأطـراف الشـرقية لقـرى رام اللـه[46].

42 انظر كتاب: دير دبوان بين الماضي والحاضر، إعداد خضر إسماعيل دالية. مطبعة الاعتصام، الطبعة الأولى 1991م.
43 السيد عماد محمد مصبح عواودة، رئيس بلدية دير دبوان، مقابلة بتاريخ 9\9\2023
44 السيد ابراهيم سلمان الخطيب، رئيس مجلس قروي رمّون، مقابلة بتاريخ 9\9\2023
45 السيد عماد محمد مصبح عواودة (مصدر سابق)
46 الحاج عبد الفتاح حسين بركات شجاعية (1922-2023) مختار قرية دير جرير، مقابلة بتاريخ 23\1\2022.

تعيش في تجمُّع بدو وادي السيق نحو أربعين عائلة مُستقرة، حاليًا، ضمن الحدود المعروفة لهذا التجمع، الذي يقع شرق الطريق الاستيطاني (طريق آلون)، ويحدّه شمالًا طريقُ المعرجات (رام الله – أريحا)، ومن الجنوب فإن وادي السيق هو حدُّ هذا التجمع، أما من جهة الشرق فإن هذا التجمع يُطل ويشرف على الأغوار الفلسطينية[47].

ويعتمد البدو في تجمع وادي السيق، بالدرجة الأولى، على تربية الأغنام، ويسكنون في الخيام وبيوت الصفيح، ويعتمدون على الخلايا الشمسية لتوفير حاجتهم من الكهرباء، أما الماء فقد رفض الاحتلال تمديد شبكة ماء للتجمُّع، ولذا فإنهم يضطرون لشراء حاجتهم من الماء من منزل يقع على بعد 3 كم عن التجمع، عند دوار بلدة الطيبة، بأسعار تصل ل120 شيقلًا للتنك (3.5 كوب)، ويفتقر التجمع لأي مؤسسات أو مراكز باستثناء المدرسة التي بنيت نهاية العام 2016[48].

يربط تجمع وادي السيق بالشارع الرئيسي (شارع آلون الاستيطاني) طريقٌ ترابي شقّه البدو بأنفسهم، ويمنع الاحتلال أي عمليات توسعة أو تعبيدٍ لهذاالطريق.

2.1 تاريخ المكان وأهم معالمه:

يحمل كُل شبر في بلادنا نكهة التاريخ ورائحته، وتراب الأرض مجبول من أثر الحضارات التي توالت في بلادنا، ولذا فلا غرابة أن يكون للتاريخ والآثار حكاية ورواية مع كل موقع نتحدث عنه في بلادنا المُحتلة.

تشير بعض المكتشفات الأثرية والمواقع على طول مجرى وادي المكوك ومحيطه[49]، بأن المنطقة كانت ذات بُعد تاريخي مهم، في فترات تاريخية قديمة، فالفخار الذي عُثر عليه ينتمي لفترات متفاوتة تاريخيًا، بدءًا من الفترة الرومانية حتى المملوكية، كما أن إحدى أهمّ المُكتشفات في الوادي كانت في (كهف المحارب)[50] الذي وجدت فيه آثار يُقدر بأنها تعود للعام 3800 ق.م. غير أنّ أشهر ما يعرفه الأهالي من معالم في هذه المنطقة هو موقع قلايل البنات (جنوب الوادي)[51]، ودير السيق في بداية مجراه.

47 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار، مواليد:1975م. مسؤول التجمع البدوي، مقابلة بتاريخ 5\9\2023.

48 الحاج محمود محمد هبيشان كعابنة، مواليد: 1956م. مقابلة بتاريخ 5\9\2023

49 Alexander Joffe \ DOI 10.2307/1357486. Review of The Cave of the Warrior: A Fourth Millennium Burial in the Judean Desert.Article in Bulletin of the American Schools of Oriental Research February 2000

50 كهف المحارب: عثر في الكهف عام 1993 على دفين ذكر، مُستلق على حصيرة منسوجة، وملفوف بقطعة قماش كبيرة، ومجهز بأمتعة مختلفة، كالصنادل وسكين صوان طويل، وقوس مكسور وبعض السهام ..الخ. وتشير الدراسات إلى أنه دفن نهاية العصر النحاسي قبل الانتقال للعصر البرونزي المبكر (3800 ق.م).

51 كهف قلايل البنات: إلى الشرق من رمون- الطيبة، وفي سفح يطل على الوادي ترى كهفاً منحوتاً بالصخر يسمى: «قلايل البنات»، وبحسب رواية كبار السن في تلك القرى فإن هذا الكهف كان مكاناً لقيلولة بنات أحد الملوك في العصور الغابرة.

إن أشهر ما يمكن الحديث عنه في هذه المنطقة هو دير السيق القديم، الواقع في خلّة الدبابنة، في بداية مجرى وادي المكوك، وهو من أديرة القرن الرابع الميلادي، والذي يعتقد بأنه ازدهر في القرنين الخامس والسادس[52].

إن الكهوف والمغر والآبار والأدراج الحجرية، وقنوات المياه المنحوتة في الصخر، بالإضافة للملاجئ (المعاصي) في خلّة الدبابنة/ واد السيق تُعطينا انطباعًا عن أهمية الدير وطبيعته، فهو دير مُنعزل في مكانٍ قَصيٍّ وخفيٍّ يصعب الاستدلال عليه بسهولة، ثمّ الامتداد في مساحة الدير لنحو 1.5 كم ، تجعل منه واحدًا من أكبر الأديرة التاريخية وربّما أهمها في المنطقة الشرقية من فلسطين.

نلاحظ من بقايا غرف وكهوف الدير بأنه كان يحتوي على تركيبة متنوعة من المعالم، بما فيها البرج العلوي الذي يشرف على التلال والسهول القريبة، وهو بلا شك موقع له امتداد وتتابع حضاري قديم، ومن الملاحظات التي تثيرك في هذا الموقع أنّ كهوف الدير ومغره متفاوتة الحجم، فنجد بعضها لا يتجاوز مساحة 1.5*2 متر، فيما مساحة الكهوف الكبرى بين 20*40 مترًا، وخصوصًا كهف الدير الأساسي الذي تزين أرضيته حتى اليوم بقايا سجّادة من الفسيفساء الملون[53].

وبعض الكهوف والغرف تدلك بأنها كانت طبيعية في تشكلها، ثم سَعى الإنسان لتكييفها لأجل السكن والاستخدام وذلك من خلال حفر كوّات، وفتح نوافذ لإدخال التهوية والإنارة، ولتكون بذلك مناسبة لطبيعة الاستخدام.

وفي محيط بعض المغر، وحيث نجد أثر الإنسان في البناء، نرى حُفرًا صغيرة في الصخر، مِنَ الواضح أنها استخدمت لحمل جسور وأعمدة وعوارض خشبية، ربما لتُرْفَعَ عليها أبنيةٌ وغرفٌ للدير، في ذروة حياته ونشاطه قبل أن يتم تدميره وتخريبه كليًا في فترة الغزو الفارسي لفلسطين.

وكان من اللافت لي أثناء جولتي التوثيقية للدير، انتشار الفسيفساء بكثرة في الممرات الخارجية العلوية، وفي مناطق مكشوفة، حاليًا، حيث تنتبه لوجود مساطب وساحات صغيرة مُبلطة بحجارة الفسيفساء المتفاوتة في حجمها، هذا بالإضافة لوجود بقايا أرضيات الفسيفساء في ثلاثة كهوف، وفي أحد هذه الكهوف كانت الفسيفساء ملونة ومرسومة من قطع صغيرة.

---

52 CHRISTIAN ARCHAEOLOGY IN THE HOLY LAND (NEW DISCOVERIES) Editorial Board : G. C. BOT- TINI.L. DI SEGNI. E. ALLIATA . FRANCISCAN PRINTING PRESS- JERUSALEM 1990. P: 227-244

53 المصدر السابق

ويتّضح أن الدير قد هُجِرَ منذ فترة زمنية قديمة، ما دفع الأهالي لاستخدام كهوفه لأغراض الإقامة والتعزيب شتاءً، فتغيرت كثيرٌ من المعالم وخُرِّبت، ويظهر بوضوح أيضًا أثر التخريب المُتعمّد، من عمليات التنقيب غير الشرعي، بحثًا عن لُقى وآثار وبقايا من أثر الدير، أو الحضارات السابقة له والتي تركت بصمتها في مجرى الوادي وعلى جانبيه.

وقد سجلت رواية شفوية لأحد جامعي هذه الآثار، حيث روى لي تفاصيل مثيرة عن عمليات حفر قاموا بها في مغارة عادية، وعثروا فيها على أرضية فسيفساء ملونة، وقطعة ذهبية على شكل صليب صغير الحجم.

3.1 تشكل التجمع البدوي المُستقر

إن تشكل التجمع البدوي المُستقر والثابت في موقع جغرافي واحد هو أمرٌ اضطراري، وحالة أجبر البدو عليها بفعل ملاحقة الاحتلال والتضييق عليهم، ذلك أن ثقافة الترحال والتنقل طلبًا للماء والكلأ، هي سمة البدو الأساسية، والأمر ينطبق على المُجتمعات الفلاحية في شرق سلسلة الجبال الوسطى في فلسطين، والتي كانت تعتمد على الزراعة وتربية الأغنام (المجتمع النصف فلاحي- النصف بدوي) إذ كانت ترتحل شتاءً نحو الغور وترتفع صيفًا نحو شفا الغور والسفوح الشرقية، لكن كل ذلك تغيَّر وتوقف نتيجة سياسة جيش الاحتلال، وهذا ما ينطبق على تجمّعي وادي السيق، تجمُّع بدو مغاير الدير جنوبًا، وتجمُّع بدو وادي السيق شمالًا، وهُما اليوم يعيشان ذات التحَديات والمواجهة، وتتم ملاحقتهم وإجبارهم على النزوح من المنطقة، بنفس الحجج والذرائع، وبذات الأدوات الاستعمارية[54].

كانت البدايات الأولى لتشكل التجمع البدوي في طرفي وادي السيق قد بدأت عام 1985م بعد الضغط والملاحقة والدفع بالقوة للابتعاد عن الأغوار، وقد تشكل في البداية تجمع مغاير الدير جنوب وادي السيق، وتجمع بدوي آخر غرب شارع آلون الاستعماري، ثم شرع البدو وأصحاب الأغنام من الفلاحين بالتجمع والتركز في المساحة الحالية التي يقوم عليها التجمع، وهي هضبة سهلية مُرتفعة تمتد لحوالي 4 - 5 كم، فصارت التجمعات تجذب من يتم إجباره على مُغادرة مكان العزب في الأغوار والمناطق الشرقية، واستمر ذلك حتى عمليات الهدم للتجمعات البدوية في الغور عام 2016م[55].

وبحسب الأستاذ عبد الله حماد من مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان فإنه: «خلال سنوات الثمانينيات - التسعينيّات تركزت التجمعات في أماكن ثابتة وصارت تحاول الحفاظ على أماكن إقامتها، وعدم الاضطرار إلى الرحيل تحت ضغط وملاحقة جيش الاحتلال، وصار الاحتلال

54 السيد عماد محمد مصبح عواودة (مصدر سابق).
55 السيد إسعيد علي عبد الغني عرمي. مواليد: 1955، مقابلة بتاريخ: 23\1\2022

يعتبر رحيل البدو من موقع إقامتهم مبررًا لمنعهم من العودة إليه، فيصادر البيوت والخيم والبركسات التي ينتقل أصحابها لمكان آخر، بل وصلت الحالة بمصادرة البيوت والخيم إن تغيَّر المقيمُون ولو كانوا من ذات العائلة»[56].

يقول السيد عبد الرحمن كعابنة (1975) عن تشكل التجمع الذي يُمثله حاليًا: «هذا التجمع تشكّل في الثمانينيّات، وكان قبلنا فيه ناس مقيمون من دير دبوان ورمون، وكان السهل يُزرع بالقمح والشعير من أصحاب هذه الأراضي، والبدو من 1985 وطالع بّلشوا يتجمعوا هون حتى 2016م، وبعدها صرنا نتضمن الأرض ونزرعها للغنم، وَنَرِد على الآبار لسقي الغنم»[57].

أما الحاج محمود كعابنة (1956م) فيسرد حكاية هذا التجمع بألمٍ، فيقول: «أنا ما كنتش بهذا التجمع، أنا الصحيح بطلت أعرف من وين أنا، من يوم ما انخلقت وأنا أتنقل مع الحَلال ، وين في ماء وعشب، بس بعد ال67م، صرنا نرحل بالقوة من مطرح لمطرح، وكنت قبل ما آجي هان ساكن في تجمع راس التين، ولما حاولوا يحرقوا البيوت علينا واحنا فيها رحلنا، وبعدنا رحل بدو عين سامية، واحنا هون ورغم إنه احنا ابعاد عنهم بس مش سالمين منهم، لاحقينا على هذه المنطقة، فهذا التجمع بلش من لما بلشت قصتنا مع الترحيل، واذا بدهم يهدّوه ويرحّلونا كمان مرة، خلونا نرجع على بلادنا، وكل واحد يرجع على بلده الأصلية»[58].

خيم تجمع وادي السيق

56 الأستاذ عبد الله حماد - مستشار في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 9\6\2023
57 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)
58 الحاج محمود محمد هبيشان كعابنة (مصدر سابق)

ثانيًا: البدو من بئر السبع حتى شفا الغور

1.2 رحلة التهجير والاقتلاع 1948-1967

يروي الحاج محمود كعابنة (1956م) حكاية البدو التي خُلق يحملها على ظهره ثقلًا يُطاردهم به الاحتلال منذ العام 1948م «إحنا كنا عشائر وقبائل بدوية في منطقة بئر السبع وتل عراد، وكان عنا حلال بنعيش منه بهذيك البلاد، بس الاحتلال طرد كثير قبائل من بئر السبع، وتفرقوا ع الضفة والأردن، وكانت رحلة قاسية وصعبة، والضفة كانت أيامها تحت حكم الأردن وما كان فيه تحديات وملاحقات، وظلت حياتنا مثل ما احنا متعودين، نرحل من مكان لمكان في الغور بدل بئر السبع، وين فيه عشب وماء نروح، بالصيف نرتفع على الشفا، وفي الشتوية ننزل على الغور، بس لما تم احتلال الضفة في العام 1967م، صار النهر والغور منطقة عسكرية، وبطل مسموح التواجد هناك، ومن هان بلشت رحلتنا الطويلة إللي بتشبه تغريبة بني هلال، بلشنا من بئر السبع وهينا في شرق رام الله، ولساتنا لا قادرين نستقر ولا نعيش، هدم وإخطارات وملاحقة واعتداءات، تقول هذا قدر مكتوب علينا نظل في الترحيل تا نموت»[59].

أما الحاج خليل سليمان الكعابنة من أهالي مسافر يطا فإنه يتحدث عن رحلة اللجوء من بئر السبع إلى الغور ومنطقة شرق رام الله تحديدًا: «تهجرنا من بئر السبع من منطقة الزويرة، إلى برية دير دبوان، ونزلنا في منطقة سهل الجثّة بين رام الله وأريحا، وهناك أنا ولدت سنة 1959م، وبقينا هناك حتى سيطر الاحتلال على الضفة الغربية ثم ضيق الحياة علينا فرجعنا لمنطقة المسافر جنوب شرق الخليل»[60].

وفي حكاية الاقتلاع، التي لم تنتهِ ولم تتوقف في الغور، يروي الحاج حمود أصغر أحد الغنّامة الذين قضوا حياتهم في الغور: «إحنا كنا أصحاب حلال وغنم، واعتمادنا كان على الغور، نزرع الأراضي السهلية قمح وشعير، والجبال والتلال هذه كلها مراعي، والبلاد كانت وساع وفش حدود، وكان فيه فلاحين وبدو على طول الغور، يعني من بيسان حتى شرق الخليل، تلقى تجمعات غنّامة، خليط من بدو وفلاحين، واعتمادهم ع الرعي وتربية الأغنام، وأنا من وهو عمري 8 سنين وأنا بالغور أرعى الغنم وأفلح الأرض، بس بعد ما صارت النكبة أجا كمان بدو من مناطق بئر السبع، وهذول عندهم حلال وجمال، توزعوا في الغور شرق النهر وغربه، مهو كُنا كأصحاب حلال نتنقل بين الأردن وفلسطين طول الوقت، والحياة كانت ماشية زي المُعتاد، وهذا الحكي ظل حتى ال1967م، بعد احتلال الضفة تغيرت الحكاية، والنهر والغور صار محرم علينا، موت وطخ وقنابل ومدفعيات، وحياتنا صارت

59 المصدر السابق

60 الحاج خليل سليمان إسمير الكعابنة مواليد: 1959، تاريخ المقابلة: 28 حزيران 2019م، المتحف الفلسطيني- مجموعة مشروع حماية الموروث الثقافي الفلسطيني في مسافر يطا

معركة رسمية، كلمة ممنوع ومسموح هذه بطلنا نسمعها، اللغة اللي بحكوا معنا فيها كانت الرصاص، يطخوا الغنم ولا يقلقوا بحدا، وفي الأخير كل أصحاب الغنم مع نهاية الستينيات اضطروا يترفعوا باتجاه الغرب على الشّفا والسفوح اللي بتشرف على الغور، الفلاحين اللي عندهم حلال ترفعوا تلا قراهم وأراضيهم في شفا الغور، والبدو أغلبهم ترفعوا باتجاه جبال برية القدس ورام الله، مناطق واسعة وقليل الغنم فيها، والجميع حاول يدبر حاله ويتأقلم، ومع هيك ما سلمنا من الاحتلال، ولليوم ما حد سالم منهم ولا قادر يخلص من قصة مناطق عسكرية وإخطارات وهدم، يعني بدي أقولك شغلة: ارضينا بالبين والبين ما رضي فينا»[61].

2.2 الملاحقة العسكرية 1967 -1985

مع اكتمال احتلال الضفة الغربية في حزيران عام 1967، سارع جيش الاحتلال لإصدار أوامر عسكرية بمصادرة الأراضي الواقعة غرب نهر الأردن وإغلاقها، باعتبارها مناطق عسكرية، ثم بدأ بإجبار البدو والفلاحين الذين يقيمون في تلك الأراضي على الابتعاد عن الشريط الطولي المحاذي لنهر الأردن، والمناطق الواقعة شرق ما يُعرف اليوم بشارع 90، وتتابعت لأجل تحقيق ذلك سلسلة من الإجراءات غير القانونية بحق سكان وملاك تلك المناطق[62].

وكان من جُملة البدو الذين طالتهم سياسات الترحيل واستخدام القوة عشائر وتجمعات البدو الذين أقاموا بين العوجا وفصايل، ومنهم عرب الكعابنة، وبدو تجمعات شرق رام الله والقدس المُلاحقة حاليًا، حيث أُجبروا على الرحيل بأغنامهم نتيجة ما تعرضوا له من مضايقات مُباشرة طوال ما عرف لدى الاحتلال بـ: حرب الاستنزاف (1970-1967)، ثُم ما تبع ذلك من مخططات ومشاريع استعمارية لحكومات الاحتلال المتعاقبة وأشهرها خطّة آلون[63].

لم تكن سياسة جيش الاحتلال تقوم على إغلاق المنطقة عسكريًا ومنع التواجد والرعي فيها، واعتقال الرّعاة وحجز أغنامهم فحسب، بل ذهب جيش الاحتلال لاستخدام القوة المطلقة، وإطلاق النيران بهدف القتل المُباشر، وزرع الشريط الحدودي بحقول الألغام، وملء تلك المنطقة بكمائن الدّوريات التي لا يتردد عناصرها بالقتل المُباشر، وفتح النيران على أيّ مُتحرك في تلك المنطقة، حتى صارت رائحة الموت هي ما ينبعث من المنطقة الواقعة شرق شارع 90.

61 الحاج حمود إبراهيم أصفر (1938-2019)، مقابلة بتاريخ 28\10\2018

62 السيد حنّا عبد الله دراج، مواليد: 1949م . مقابلة بتاريخ: 23\1\2023.

63 نظر كتاب: الاستيطان الإسرائيلي جغرافياً وسياسياً. البروفيسور اليشع أفرات، ترجمة دار الجليل للنشر طبعة: 1991.

وتشير الروايات الشفوية لأحداث مُرعبة وسياسات غاية في الإجرام مورست بحق رُعاة الأغنام وفلّاحي الأرض، الواقعة غرب شارع 90 أيضًا، ذلك أن الاحتلال لم يكتفِ بإبعادهم عن الشريط الحدودي الذي يمتد عرضه من 1 – 15 كم، وإنما لاحقهم في المناطق الغورية جميعها، تحت ذات الحجج: مناطق عسكرية، مناطق إطلاق نار، أملاك دولة، محميات طبيعية، الأمر الذي غيّر طبيعة الوجود الفلسطيني في الأغوار مع بداية السبعينيّات[64].

وبحسب رواية الحاج محمود كعابنة (1956م): «ظلينا نحاول ما نطلع من الغور، ونتنقل من مكان لمكان تحت النار، بس في الأخير اضطرينا سنة 1970 إنه نرحل باتجاه شفا الغور، أو الأغوار الغربية، وصار غالبية البدو والفلاحين من أصحاب الأغنام، ساكنين في المناطق الشرقية لقرى: العيزرية، جبع، مخماس، دير دبوان، الطيبة، رمون، دير جرير، كفر مالك، المغير، دوما، وعقربا، وطبعًا اختاروا مناطق بعيدة عن التجمعات الفلسطينية، وما كان فيه مستعمرات أصلًا»[65].

غير أنّ هذا الرحيل لم يكن نهاية المشكلة بالنسبة لمُربّي الثروة الحيوانية، ذلك أن الاحتلال لاحقهم في هذه التجمعات الجديدة، وتركزت سياسته هذه المرة على حجتين هُما: مناطق عسكرية ومحميات طبيعية.

يروي السيد سليمان كعابنة (1968م) عن طفولته وتحدّيات الحياة التي عاشها في منطقة (سهل الجثة) في برّية دير دبوان الشرقية: «كنت طفل، ولساتني متذكر تفاصيل من وجع هذيك الأيام، في أيام كنا في العزب ويصير فجأة إطلاق نارٍ جنب البيوت، ويصوبوا النار على البيوت، وأمي تخبينا تحت الفراش خوفًا علينا، وإذا طلعت ترعى الغنم ينطخ عليك وعلى غنمك، وإذا الجيش ما اعترض إنها منطقة عسكرية كانوا جماعة الطبيعة يلاحقونا ويمنعونا من الرعي في الجبال باعتبارها محميات طبيعية، وهذه الجبال نفسها اللي صار فيها مستوطنات وبطلت بالنسبة إلهم مناطق عسكرية ومحميات طبيعية»[66].

وفي تفاصيل الاعتداءات والمضايقات خلال تلك الفترة يروي الحاج محمود كعابنة: «كان جيش الاحتلال في البداية يطلق النار على الأغنام ويقتلها، بعدين صار يعتقل الراعي بالطيارة، يرمي عليه شبك ويحمله ع سجن أريحا، ويتركوا الغنم بالجبال من غير راعيها، بعدين طلعولنا بشغلة جديدة، وهي اعتقال الغنم، كانوا يوم الخميس يلاحقوا الرعيان ويصادروا الأغنام منهم، ويتم حجزها، ثم تحميلها في تركّات كبيرة، وتنقل إلى معسكر الكرنتينا بين فصايل والعوجا، وتبقى الأغنام محجوزة حتى يوم الأحد، ونضطر لدفع غرامة على كل رأس

64 الحاج عبد الفتاح حسين بركات شجاعية (مصدر سابق)
65 الحاج محمود محمد هبيشان كعابنة (مصدر سابق)
66 السيد سليمان مصطفى سليمان كعابنة، مواليد: 1968م. مقابلة بتاريخ 5\9\2023

غنم، وطبعًا الغنم تموت وتتبهدل من الجوع، وخسائر لا يعلم فيها إلا الله)[67].

ويستذكر السيد سليمان كعابنة حوادث أدت لموت عدد من رُعاة الأغنام نتيجة سياسات جيش الاحتلال المتعمدة: «ما يحلى لهم يعملوا تدريب إلا جنب العِزب، أو أماكن الرعي، وبس يغادروا، أصحاب الغنم تنزل ترعى فتنفجر قنابل ومخلفات الجيش في الغنم، وفي مرات انفجرت القنابل بالناس، وبتذكر حادثة بـ 5\10\1979 انفجرت قنبلة من مخلفات الجيش في شاب بدوي اسمه: عمر محمد سحيمان وعمره 19 سنة، يومها كُنا نرعى الغنم في (سهل الجثة) في برية دير دبوان، فانفجرت فيه هذه القنبلة وقتلته قدّامنا، وكمان انفجرت قنبلة في نفس المنطقة في شهر 2\1983م بشاب من دير دبوان اسمه: إبراهيم حمد وعمره 25 سنة، وبعد هيك صارت المناورات بتخوف، لدرجة كانوا يدمروا خزانات المي وبراميل القمح والمونة داخل الخيم، وفي الليل تصير مداهمات للبيوت ويرهبوا الأهالي، والحال نفسه يصير مع الفلاحين الذين يزرعون القمح والشعير، فاضطررنا للرحيل من سهل الجثّة»[68].

3.2 للملاحقة وجوه أخرى 1985- 2016

في منتصف ثمانينيّات القرن الماضي، كانت العائلات البدوية وأصحاب الأغنام من الفلاحين المُقيمين في منطقة سهل الجثة في برية دير دبوان، قد أجبروا على مغادرتها، تحت تهديد جيش الاحتلال وممارساته القاتلة، باعتبارها منطقة عسكرية، ولذا كان على العائلات التي بلغت نحو 40 عائلة التفرق مُجددًا والنزوح لأماكن جديدة بعيدًا عن مناطق التدريب العسكري والمحميات الطبيعية حسب تصنيف الاحتلال.

رَحَلت العائلات من سهل الجثة تتابعًا بين الأعوام 1984- 1986م، وتفرقوا على عدّة مناطق، كما رحل البدو في غالبية المناطق الواقعة في البرية - الغور، واضطروا للتراجع نحو المنطقة المطلّة على الغور مثل: مغاير الدير، وادي السيق، المقيبرة، رأس التين، القبون، جبل النجمة، عين سامية، جبعيت، الطويل، إفجم..الخ. وهذه التجمعات الجديدة أيضًا لم تسلم من الاحتلال وسياسته بعد ذلك[69].

وبحسب ما يرويه السيد عبد الرحمن كعابنة (أبو بشار): «إحنا رحلنا من سهل الجثّة إلى منطقة المقيبرة، والاحتلال صار يلاحقنا بقصص محميات طبيعية ومنطقة عسكرية، وصار الرّعي في الجبال قصة يومية، وخف الهدم للتجمعات البدوية، بس صار فيه ملاحقة أكثر للرعي والتواجد في الجبال، وهذا الحكي ظل لسنة 1996م».

67 الحاج محمود محمد هبيشان كعابنة (مصدر سابق)
68 السيد سليمان مصطفى سليمان كعابنة (مصدر سابق)
69 السيد إسعيد علي عبد الغني عرمي (مصدر سابق)

تجمع وادي السيق البدوي , الحياة مستمرة رغم اعتداءات الاحتلال ومستعمريه

كان العام 1996 فاصلًا في تاريخ التجمع البدوي في منطقة المقيبرة، حيث داهم جيش الاحتلال هذا التجمع البدوي وهدم تسعة بيوت، وصادر خزانات المياه والبركسات والتركتورات، ودمّر التجمع وصادر المُمتلكات، بحجّة إقامتهم في منطقة عسكرية، وبحسب رواية أبو بشار كعابنة: «المحامي رفع قضية في المحكمة، وصار في مفاوضات وجلسات، وفي الأخير طلب جيش الاحتلال إنه نرجع باتجاه موقع التجمع الحالي قريب الـ 3-2 كليو، وفعلًا تركنا المقيبرة ورجعنا باتجاه وادي السيق، وحطينا البيوت بعيد عن المنطقة العسكرية، وكان فيه ناس معزبين من دير دبوان وعائلات بدوية في هذه المنطقة»[70].

في السنوات التالية خفّت وتيرة الاعتداء على بيوت ومنازل التجمع البدوي في وادي السيق، وكان الاحتلال يكتفي بتسليم الإخطارات في حال تمت إضافة أي بناء أو استحداث بركسات وحظائر للأغنام، فيما تواصلت الملاحقة للرعي والأغنام، بحجة تواجدها في مناطق عسكرية أو محميات طبيعية.

أمام تلك السياسة بدأ المجتمع البدوي بالاستقرار في منطقة وادي السيق، وصار اعتمادهم بدرجة أولى على هذه المنطقة، وبدأوا بزراعة السهول بالقمح والشعير لتوفير الأعلاف للدواب، وتم ترميم 33 بئرَ ماء قديم لأجل استخدامها للشرب وسقي الدواب، وصار النزول للغور للرعي من ماضي وذكريات البدو في هذه التجمعات[71].

بدأت خلال تلك السنوات ظاهرة جديدة تتكون بمحاذاة مستعمرات الاحتلال في المناطق الشرقية المشرفة على الأغوار، وهي إقامة بؤر استعمارية امتدادًا للمستعمرات الكبرى، وكانت أول بؤرة قريبة على تجمع وادي السيق بحسب أهالي المنطقة: «في العام 2012 أقاموا بؤرة قريبًا من مستوطنة كوكب الصباح، جنوب جبل النجمة في أراضي قرية دير جرير، وصار سكان هذه البؤرة يلاحقون الناس بإطلاق النار عليهم وعلى أغنامهم، وصار البدو والمزارعون يتجنبون الاقتراب منهم ويبتعدون عنهم قدر الإمكان، وفي كل فترة كانت تقام بؤرة جديدة، وآخرها بالقرب من مستعمرة ريمونيم، والتي استنسخت فيما بعد، إلى وادي السيق بداية العام 2023م، وطبعًا كلما زاد عدد البؤر الاستعمارية زادت المعاناة والاعتداءات والتضييق»[72]

4.2 التغوّل الاستعماري 2016- 2023

كان من الواضح بالنسبة للفلسطينيين المُقيمين في الأغوار أو في مناطق شفا الغور بأن القادم أصعب، وتحدّيات البقاء والصمود تزداد أكثر فأكثر، وأن الدولة الاستعمارية تكثّف من إجراءاتها لتهجيرهم واقتلاعهم من المناطق

70 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)
71 السيد عماد محمد مصبح عواودة (مصدر سابق).
72 السيد إبراهيم سلمان الخطيب (مصدر سابق)

التي يسكنون بها، وأن هناك سياسة مبنية على فكرة تكامل الأدوار بين مؤسسات الدولة الاستعمارية المختلفة وإن اختلفت التسميات (تخطيط وبناء، إدارة مدنية، شرطة، جيش، محميات طبيعية، أمن مستعمرات ..الخ). وهذه السياسة كانتْ في كل مناطق الأغوار التي تشكل 28% من مساحة الضفة الغربية، أو في المناطق ج التي تشكل 60% من مساحة الضفة الغربية عمومًا، ولذا كان من الطبيعي أن يكون التجمع البدوي في منطقة وادي السيق جزءًا من الاستهداف الاستعماري المكثف.

يروي السيد عبد الرحمن كعابنة (أبو بشار) ما حدث لهم في تلك الفترة: «مع بداية 2016 تقريبًا، اختلفت الإجراءات وصار عندنا حالة من القلق اليومي، كل أجهزة دولة الاحتلال صحيت فجأة، وبطلنا نلحق إخطارات وقرارات وملاحقة وأوامر وضع اليد، وصارت التجمعات البدوية والرعوية من شرق جنين حتى جنوب الخليل مهددة بالاقتلاع، وفش بيت أو خيمة إلا فيها إخطار ووقف بناء، وبتم متابعة أي حركة داخل التجمعات بالتصوير الجوي والميداني، وكل يوم فيه إخطار حتى المدرسة اللي هي حق إنساني لأي طفل بالعالم، ما سلمت منهم ومن الإخطارات والاعتداءات»[73].

أما السيد سليمان كعابنة فيحكي عن تحديات الرعي والبقاء التي عاشها وأهله في هذا التجمع: «صار التضييق على كل المستويات، الرعي ممنوع من جهة الشمال لأنه صار في عدّة بؤر استيطانية وصارت تتوسع وتنتشر، ومن الجنوب وادي السيق اللي هو محمية طبيعية ممنوع نسرح أو نعزّب فيه، ومن الشرق المناطق العسكرية للجيش، وممنوع نحفر آبار وممنوع نمد خط مياه، وأي بناء جديد يتم إخطاره وإزالته، وكل الأبنية القائمة مهددة بالاقتلاع، وصار عنا ضيف رسمي اسمه: (التنظيم والإدارة المدينة)، وهذول ما ظلش شغل عندهم غير تجمع وادي السيق، وكل يوم فيه خبر عن هدم بركس ومصادرة تنك مياه، واحتجاز رُعاة، وصار الواحد خايف على حياته وحياة عيلته، مهو بطل في أمان من طرفهم»[74].

ويروي لنا أبو بشار كعابنة عن ظاهرة جديدة بدأت منذ عام 2018م فصاعدًا: «إحنا كُنا متعودين نشوف مجموعات اسرائيليين على شكل سيّاح في وادي السيق والغور، وفي المواقع الأثرية، بس ما كانوا ييجوا على بيوت البدو، بس بعد 2018 وانتشار البؤر الاستيطانية، صرنا كل فترة نشوفهم جنب البيوت، وعند المدرسة، مرات ييجوا على الخيل أو الدراجات الجبلية وسيارات الدفع الرباعي، يمرقوا من بين البيوت بدون ما يتعرضوا لأي حد من الأهالي، وفي هذه الفترة وتقريبًا عام 2019، صار الجيش يقتحم التجمع البدوي بنص الليل، وهم مغطيين وجوههم، ويطلبون من الجميع إحضار هوياتهم، ويتم تصوير كل الموجودين، تقول كأنه إحصاء من

73 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)
74 السيد سليمان مصطفى سليمان كعابنة (مصدر سابق)

نـوع جديـد يشـمل صـور النـاس ووجوههـم، بعرفـش شـو الرابـط بيـن حركـة المسـتوطنين فـي التجمع وشـغل الجيش فـي الليل، بس كان الموضـوع يتـم بنفـس الفتـرة»[75].

يؤكـد البـدو فـي تجمع وادي السـيق أن السـنوات الخمـس الماضيـة كانـت الأكثـر رُعبًا علـى حياتهـم وأمنهـم، وصـار عليهـم الانتبـاه طـوال الوقـت تجنبًا لاعتداءات المسـتوطنين التي لا تتوقف ليلًا أو نهارًا، حتى إن طلبة المدرسة صـار لديهـم رعـب اسـمه: «المسـتوطنين أجـوا، المسـتوطنين بدهـم يحرقـوا المدرسـة».

وتصاعـدت خـلال هـذه الفتـرة هجمـات البـؤر الاسـتعمارية علـى التجمعـات البدويـة وعلـى أطـراف القـرى الفلسـطينية القريبـة مـن مناطـق (ج)، لتشـمل سـرقة الأغنـام وتخريـب الممتلكـات وتقطيع الأشـجار، وحـرق البيـوت، وتكسـير السـيارات، وكتابـة الشـعارات العنصريـة، ومصـادرة عيـون وآبـار المـاء، ومنـع الرعـي فـي مناطـق كثيـرة.

لكـن تجمـع وادي السـيق كان علـى موعـد مـع فصـل جديـد فـي سياسـات الدولـة الاسـتعمارية وذلـك فـي 20\2\2023، فـي ذلـك اليـوم أقـام أحـد المسـتعمرين نـواة بـؤرة رعويـة مقابـل التجمع البدوي، حيث نقلها من موقعه السـابق جنـوب مسـتعمرة ريمونيـم، إلـى وسـط منطقـة السـهل المملـوك لأهالي قرية دير دبوان ورمون، ليتبين لاحقًا بأن هـذه القطعة بالذات هي خزينـة دولـة، وعليـه، فـلا يسـتطيع الأهالـي إخراجـه منها بأي حجة قانونية، ولـذا كانـت هنـاك وقفـات شـعبية مـن الأهالـي رفضًـا لسـرقة الأرض، لكـن جيـش الاحتلال بادر لقمعها بالقـوة والنار، تاركًا الميدان لهذا المُسـتعمر كي يتمدد ويسـيطر علـى الأرض.[76]

يقـول رئيـس مجلـس قـروي رمـون السـيد ابراهيـم الخطيـب: «كانـت الدنيـا ربيـع، والسـهل مزروع قمـح وشـعير، زرعناه جميعه ضمـن خطـة لإحياء وتعمير المنطقـة مـن طريـق المعرجـات حتـى عيـن الديـوك، ولما المسـتوطن شـاف الـزرع نَـزّل غنمـه فيهـن ورعاهـن، وطبعًـا إذا إنـت اعترضـت ورفضـت هـذا السـلوك الجيش بعتدي عليك، وإذا قدمت شـكوى عليه ما حد بسـمع منك، وبعدهـا بلـش يحجـز آبـار الميـاه اللـي بالسـهل واللـي غالبيتهـا لأهالـي ديـر دبـوان والقـرى الشـرقية، وصـاروا يمنعـوا البـدو يشـربوا منهـا، وكل بيـر بحـط عليـه قُنطـرة بحميـه هـو والزعـران الـي معـه بالسـلاح، وخـلال شـهر كان عنـد هـذا المسـتوطن خـط ميـاه وخلايـا شمسـية وبلـش حياتـه بـدون مـا حـد يلاحقـه ويعطيـه إخطـارات ويمنعـه مـن الرعـي بالمناطـق العسـكرية».[77]

75 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)
76 السيد ابراهيم سلمان الخطيب (مصدر سابق)
77 المصدر السابق

واستكمالًا لهذه السياسة الاستعمارية المرعبة، كثف جيش الاحتلال والشرطة من ملاحقة السيارات المشطوبة التي يستخدمها البدو في المناطق التي يقيمون بها والتي تتصف بأنها وعرة، ولا تحتوي طرقًا مناسبة، وصار الجيش يتعمد المرور من التجمع والوقوف على أطرافه والتضييق على حركة الدخول والخروج منه.

وفي الأشهر الأخيرة صار هناك وضوح في طبيعة التحدي الذي فرضه وجود البؤرة الرعوية كشكل من أشكال الاستعمار النشط، وهو ما يؤكده السيد سليمان كعابنة: «صارت شغلتهم المدرسة، مرّة ينزلوا العلم الفلسطيني عنها، ومرة يسرقوا بطاريات الخلايا الشمسية ومولد الماء، وقصوا الشيك وأخذوا المعدات اللي في المستودع وخربوا الكاميرات، بعدين صار الرّعي بأغنامهم ما يتم إلا أمام بيوت البدو، ييجوا يرعوا وسلاحهم معهم مشان يستفزونا وتصير مواجهة، وإذا اعترضنا بتم تصويرنا وبتيجي الشرطة والجيش، وإذا قدمنا شكوى لا تتم متابعتها».[78]

في نهاية شهر شهر آب 2023، وقعت حادثة بين بدو وادي السيق وعصابة الاستعمار في البؤرة الرعوية، حيث تمت مهاجمة الرعاة بالقرب من بيوتهم والاعتداء عليهم، وتدخل جيش الاحتلال مصحوبًا بالشرطة وأمن المستعمرات لقمع البدو وملاحقتهم، وأطلقت النيران على الأهالي، وتمت مصادرة إحدى السيارات واعتقال ثلاثة من الشبان، وتحوّل صاحب الحق لملاحَقٍ من جيش الاحتلال.

وعن تلك الحادثة وتداعياتها يتحدث أبو بشار كعابنة: «صارت ملاحقة لاثنين من الأطفال، واحد هرب باتجاه الوادي ووقع وتضررت رجله، والثاني حاول إبعاد الغنم عن المستوطنين، فلاحقوه وهجموا عليه، ولمّا فزع البدو ليحموا أنفسهم وأغنامهم، المستوطنين في تلك الساعة كانوا مجهزين حالهم بالكاميرات، فإذا إنت عملت أي حركة يتم تصويرك، وتصبح مطلوب للشرطة والجيش، وقد تم اعتقال ثلاثة شباب، وفيه شخص رابع مطلوب لهم حاليًا، لوجود صور لهم أثناء طردهم للمستوطنين من أمام البيوت، وفوق ذلك اعتقلوا فتاة عمرها 18 سنة، من غير قرار اعتقال أو قضية، فقط لأجل الضغط على والدها لتسليم نفسه لهم، وقد تدخل المحامون لإطلاق سراحها».[79]

وحتى لحظة توثيق هذه المعلومات في تجمع وادي السيق فإن وتيرة أحداث العنف من قبل رواد البؤرة الرعوية تشهد تسارعًا مرعبًا، يعجز البدو عن دفعه وتجنبه، وذلك بالتوازي مع سياسات الدولة الاستعمارية كلها لاجبارهم على الرحيل وترك المكان.

78 السيد سليمان مصطفى سليمان كعابنة (مصدر سابق)
79 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)

الواقع وَسُبل البقاء

إن الأحداث الأخيرة وتتابع عمليات المداهمة من مؤسسات الدولة الاستعمارية للتجمعات البدوية، وإطلاق يد المُستعمرين لإقامة البؤر الرعوية في الأغوار وعلى امتداد السفوح الشرقية وما يرافق ذلك من هجوم منظم لفتية التلال وعصابات تدفيع الثمن، التي تتحرك بحماية جيش الاحتلال و بغطاء منه، يجعلنا ندرك حجم التحدي اليومي وارتفاع كُلفة الصمود والبقاء في التجمعات العربية من الفلسطينيين المتمسكين بحقهم وأرضهم.

يعيش التجمع البدوي في وادي السيق حالة قلق دائم، «القلق يومي، وفي الليل ما بنقدر ننام، خوف من إنهم يحرقونا وإحنا نايمين، زي ما أحرقوا عائلة دوابشة وترمسعيا وحوارة، وطوال الوقت بنظل منتبهين لأنه مُش عارفين من وين بدهم يهجموا علينا أو يرتكبوا مجزرة».[80]

كُلفَةٌ عالية، وتحدٍّ يوميٌّ في مواجهة فعل مُنظم تديره المنظومة الاستعمارية بشكل واعٍ ومدروس، إذ يجمع النّشطاء ضد الاستيطان في الضفة الغربية على أنّ مَن يواجهونهم ليسوا مجرد غُلاة الاستعمار، وإنما عصابات مُوجهة ومنظمة بشكل متقن، وهو ما أشار إليه أيضًا أبو بشار كعابنة: «المسؤول عن الزعران والمتطرفين الذين هاجمونا ويهاجمون القرى، هم ضباط في الجيش والمخابرات الإسرائيلية، ويتم تحريكهم بطريقة منظمة، وكل مرة بنشوف نفس الوجوه ونفس السيارات في الهجوم على كل التجمعات الفلسطينية، وبالنسبة إلنا مفهوم إنه اللي بتعجز عن تحقيقه دولة الاحتلال بيبعثوا هؤلاء الزعران ليحققوه، وفي الأخير فش حد يحاسبهم أو يلاحقهم، والأراضي اللي تعتبر عسكرية علينا كفلسطينين هي أراضي زراعية إلهم، لهيك مُشكلتنا مش مع المستوطنين لحالهم، المشكلة إنه كل الدولة في خدمتهم، وفي لحظة المواجهة يتدخل الجيش والشرطة والإدارة المدنية، ولا يبقى جهاز أمني عند الاحتلال إلا ويتدخل لصالحهم»[81].

وأمام هذه الحالة المُركبة والصعبة بدأت حالة نشطة من التضامن السياسي والإنساني لأجل مساعدة هذه التجمعات على مواجهة سياسات الدولة الاستعمارية، تضامن بالحد الأدنى مع وعينا أنها لن تستطيع إيقاف المد الاستعماري في شفا الغور، ولن يكون بمقدور هذا التضامن تغيير المشهد المرعب، ذلك أن التضامن بشكله الحالي إنما يُحاول تخفيف الآثار الناجمة عن الاعتداءات والتوسع، مع بقاء الوضع على ما هو عليه من سياسات استعمارية، إن ما تحتاجه هذه التجمعات المهددة بالاقتلاع هو الضغط

80 السيد سليمان مصطفى سليمان كعابنة (مصدر سابق)
81 السيد عبد الرحمن مصطفى سليمان كعابنة- أبو بشار (مصدر سابق)

المحلي والدولي لتغيير سياسة الدولة الاستعمارية ووقف مخططاتها، لا أن نكتفي بخلق وسائل التكيف وتخفيف وقع المصائب.

وبحسب المحامي وائل القط من مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان:

«وادي السيق تجمع بدوي مقام على أراضٍ خاصة مملوكة لأهالي دير دبوان \ رمون، ومسجلة في المالية، الأمر الذي علينا مراعاته في المرافعات القانونية، لأجل حماية التجمع، حيث نبذل جهدًا مُضاعفًا لتوفير إثبات ملكيات وإخراج قيود مالية، وأحيانًا، تحتاج لتفويض أو عقود مع البدو المقيمين في التجمع باعتبار ملكية الأرض لغيرهم، وهذا الإجراء فيه تفاصيل كثيرة، وأمام حجم الهجمة على التجمعات البدوية، عمومًا، وتجمع وادي السيق، خصوصًا، فإن الإجراء القانوني في ظل تعقيداته وتتابع القرارات والأوامر العسكرية والانحياز في القضاء، وأمام الخطوات التصعيدية المتتابعة، أعتقد بأن الإجراءات القانونية ستبقى عاجزة عن حماية الموقع ومنع تهجيرهم، لذا ينبغي أن يرافق الإجراء القانوني مساندة وتضامن وتفاعل شعبي ووطني ودولي».[82]

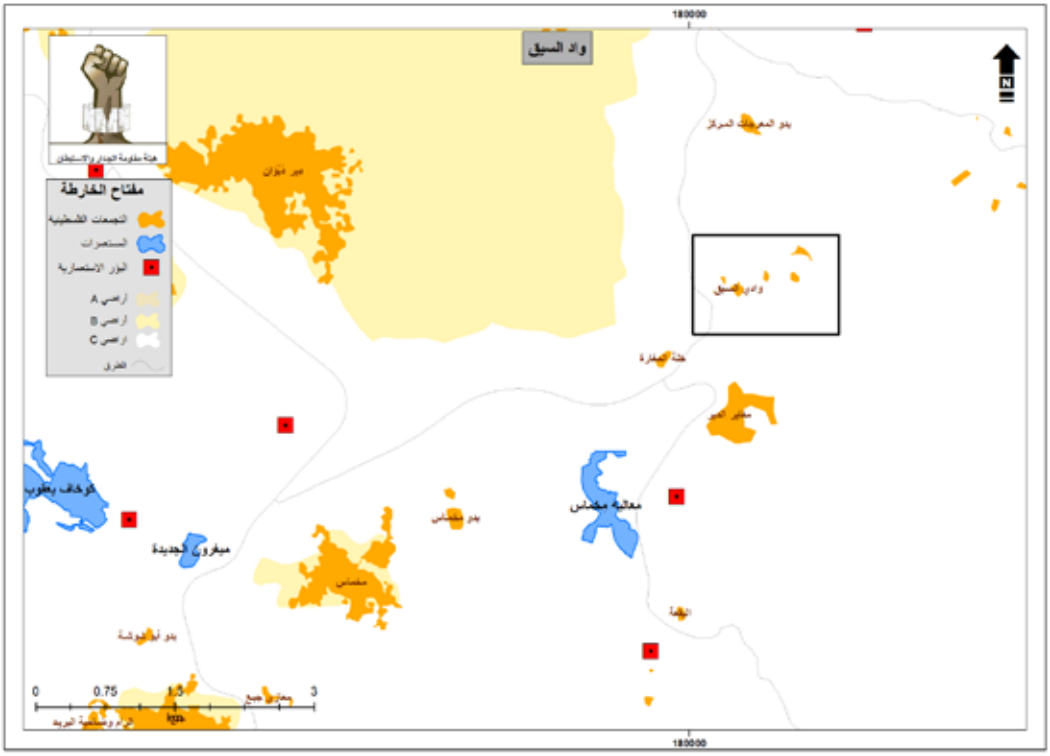

خارطة لتجمع وادي السيق البدوي _ المصدر _ هيئة مقاومة الجدار والاستيطان

82 الأستاذ وائل عبد الرحيم قط، محامي ومستشار قانوني في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 9\6\2023.

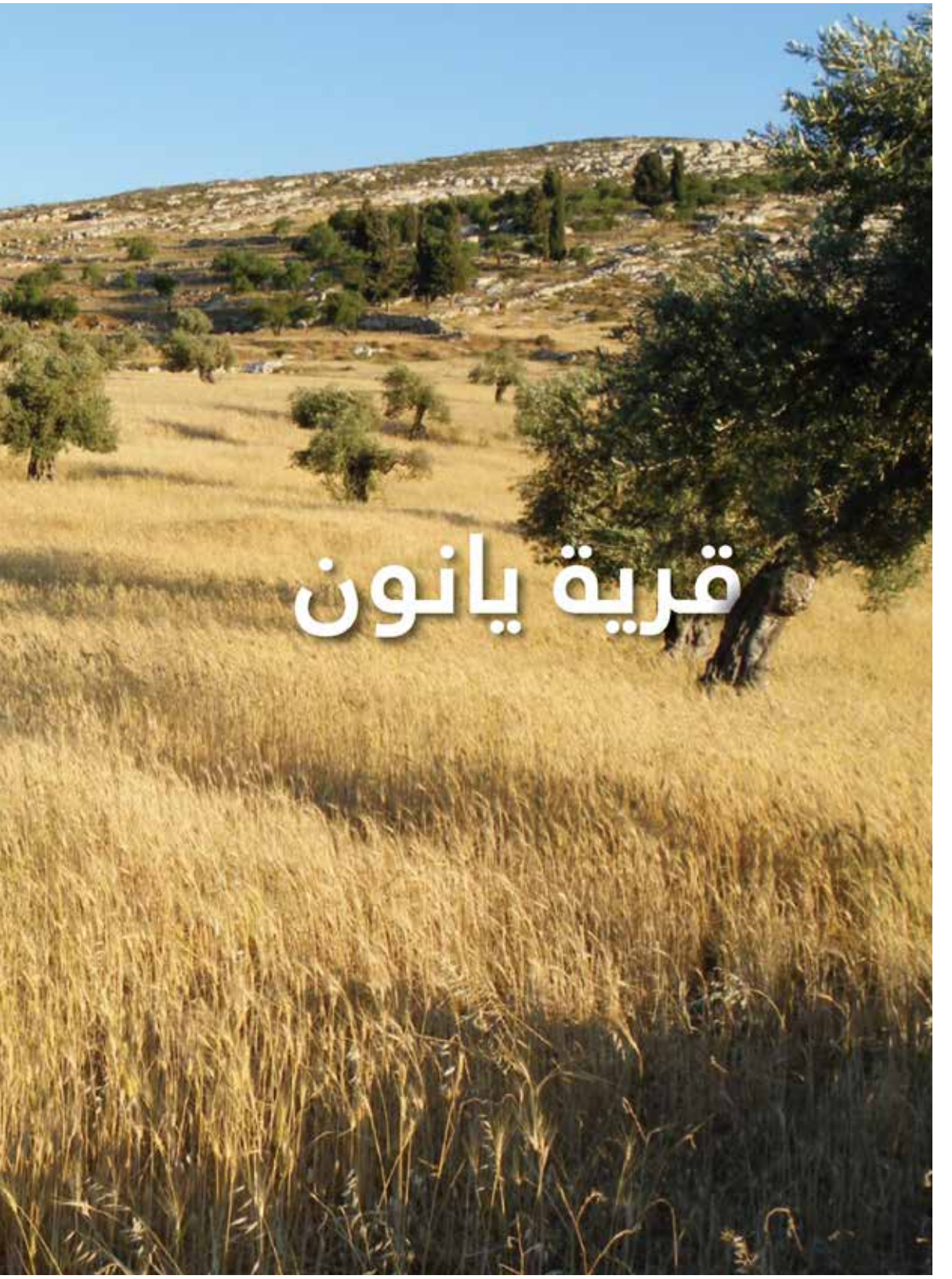

حقول القمح في يانون

قرية يانون

مقدمة:

على رَبوَةٍ تُشرفُ على ما حَولها تَقَعُ قريَةُ يانون في مَنطِقَةٍ نَائِيَة جَنوبَ شَرقِ مدينة نابلس، وتبعد عن مركز المدينة 15 كم، وهي قريةٌ صَغيرةٌ تتكوّن من تجمُّعين سكّانيّين (يانون الفوقا ويانون التحتا) وتعيشُ القَرية حَالةَ من المُواجَهةِ الدّائِمَة وَعَدَمِ الاستقرار بِفِعلِ هَجماتِ المُستعمرين الذين سَيطروا على 80% من أراضيها، وَحوّلوا حَياةَ أهلِها جحيمًا لا يُطاق.

لقرية يانون خُصوصيَةٌ في صِراعِها مع الاحتلال، فالجُزءُ الشمالي من القرية يُعتبر منطقة (ج)، فيما يعتبر الجزء الجنوبي من القرية منطقة (ب) حسب ذات التصنيف، غير أن كلا التجمّعين وأراضي القرية الممتدة شرقًا تُجاه الأغوار الفلسطينية مُستباحة لاعتبارات عدة يضعها جيش الاحتلال.

وعلى أرض يانون تشكلت بدايات ظاهرتيْ: (شبّان التلال) و(الاستيطان الرعوي)، فدفعت يانون الثّمن أولًا قبل أن تنتشر هذه الظاهرة السرطانية في جسد الأرض المحتلة، وحتى كتابة هذا البحث فإن قرية يانون وأهلها يعيشون كالجالس على فُوَّهَةِ البُركان، ولا يعلمُ لَحظة انفجاره، وليس في الأمر مبالغة، فالقرية عاشت التهجير والاقتلاع وهجّرت بالكامل من قبل المستعمرين، ولم يبق من أهلها صافر.

أولًا: يانون: التاريخ والجغرافيا

تقع قرية يانون على تلّة أثرية تطل على طريق نابلس - فصايل القديمة، وتبلغ مساحة أراضيها (16439) دونمًا، وهي من قرى شفا الغور التي تمتد أراضيها شرقًا حتى الجفتلك في الأغوار الفلسطينية، وتحيط بها قرى وبلدات: (عقربا، عورتا، بيت فوريك)، وتزرع أراضيها بالحبوب بدرجة أولى، ويكثر فيها من الأشجار شجر الزيتون، إذ بلغت مساحة الأرض المغروسة بالزيتون نحو (1000) دونم، ونحو (400) دونم مغروسة بأشجار الفواكه واللوز والتين والعنب. وقد بلغ عدد سكانها في آخر إحصاء فلسطيني (92) شخصًا.[83] في العام 1878 منحها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني للبشناق «القادمين من مقاطعة البوسنة والهرسك» اللتين كانتا تابعتين للإمبراطورية العثمانية آنذاك، وقد عَمّروها وزرعوا أرضها وبنوا فيها بيوتًا لهم، وغالبية الأرض لا تزال لهم.[84] كما منح جزءًا من الأرض لبعض جُند

83 موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى-كفر قرع 1991، الجزء الثاني - القسم الثاني ص -302 303. \\ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018 (التعداد العام للسكان والمنشآت 2017: ملخص النتائج النهائية للتعداد، رام الله - فلسطين.

84 ورد في نص مرسوم السلطان عبد الحميد الثاني إلى السيد والي بلاد الشام: «ساعدوا واهتموا للقادم عليكم مصطفى بك لاقشيك من أكابر وأعاظم رجال دولتنا العلية العثمانية». وقد حظي البشناق باهتمام ومكانة وكان لهم شأن مهم طوال فترة وجودهم في يانون، وقد أصبح: سليمان فايق باشا قائدًا في الجيش الخامس،

ووجهاء وأمراء الجيش العثماني، ولا تزال هذه الأراضي ملكَ أحفادهم حتى اليوم، ومنهم: أرسلان، آغا النمر، وحموضة، كما أن بعض عائلات عقربا وحمائلها تملك جزءًا من الأرض في يانون مثل بني جابر، أبو شهاب، وفارس المالك. وهناك عائلة (أبو هنية) التي تعود بأصولها لقرية عجور المهجرة قضاء الخليل عام 1948م.[85]

ويانون بلدة قديمة مأهولة بالسكان ولها تاريخ قديم، ذكرها مصطفى مراد الدباغ في موسوعة بلادنا فلسطين بكونها تقوم على بقعة بلدة يانوح الكنعانية والتي تعني الهادئة المطمئنة، كما أنها ذكرت في العهد الروماني باسم يانو.[86] وبقيت طوال الفترة الإسلامية بلدة عامرة مسكونة، ولا تزال شواهد تلك الحقب ماثلة للعيان، يُطالعها و يبصرها المار بالقرية ومحيطها.

ويذكر الأهالي عدّة روايات يتم تناقلها شفاهة عن قِدَمِ يانون وبركتها، ومنها أن سيدنا يونس -عليه السلام- صاحب الحوت (ذا النون) مرّ بها واستراح، ومنه أخذت اسمها، ويسرد الأهالي حكاية أخرى تقول: إنّ سيدنا عيسى بن مريم (عليه السلام) مَرَّ بالمنطقة وتناول طعام الغداء في عقربا وبات ليلته في يانون. [87]

وغالبية منازل يانون القائمة اليوم مملوكية وعثمانية البناء، وفيها معالم مشهورة يعرفها الأهالي ويترددون عليها، ولهم مَعها ذكريات، كالمسجد الأموي، الذي يُعتبر من أهم المساجد وأقدمها في المنطقة، ولا تزال أرضيته مُزينة بلوحات الفسيفساء، ويحيط به عددٌ من البيوت القديمة ومنها الفُرن والبّد (معصرة الزيتون) إضافة لبيوت ومنازل البُشناق الذين سكنوها في العهد العثماني، إذ لا تزال بيوت عبد الله ومراد بشناق قائمة بأسقفها القرميدية، والتي بناها مهندسون ألمان في العهد العثماني. [88]

كما توجد في القرية عشرات البيوت المدفونة والمُتهدمة، وبقايا الأساسات والجدران وأعمدة أثرية وحجارة قديمة، متناثرة في محيط المنازل، وكنت وثّقت كل ذلك في سنوات سابقة وصورته، كما تقع في طرف القرية مَقبرة كبيرة أزيلت شواهدها، وَيُشرف على موقع هذه المقبرة شجرة ميس كبيرة أحضرها البشناق من الشام.[89]

وأصبح السيد علي صائب مدعي عموم استئناف..الخ.

85 الحاج مسلم حماد أبو هنية العجوري (1920- 2018) يانون التحتا، تاريخ المقابلة : 16\7\2016.

86 موسوعة بلادنا فلسطين (مصدر سابق)

87 مقابلات شفوية: 1- الحاج عادل عبد العزيز أبو طربوش (1919- 2014)، مقابلة بتاريخ: 14\3\2012. 2- الحاج حسن أحمد أبو ناصر (1919- 2013)، مقابلة بتاريخ: 16\3\2012.

88 تاريخ جبل نابلس والبلقاء - إحسان النمر، الجزء الثالث، جمعية عمال المطابع التعاونية , 1975 ، الصفحة 39

89 شجرة الميس: يقول الأهالي أن البشناق (أبناء الأمير مصطفى بك لاقشيك الآتي من البوسنة والهرسك ليانون) هُم من أتوا بشجرة الميس القوقازي من جبال لبنان وزرعوها في قريتهم الجديدة نهاية العهد العثماني.

وإلى الشرق من يانون تقع تلّة مهمة يقوم على قِمّتها مقامٌ مملوكي البناء يُعرف باسم النبي نون، وهو مقامٌ له أهمية واحترامٌ عند أهالي المنطقة، وكانت تمارس عندَه طقوسٌ شَعبية وظواهر مهمة من التدين الشعبي، وإلى الجنوب منه مسجدٌ قديم مُتهدمٌ سَقفه وأجزاءٌ من واجهاته، وحول المقام أشجار مُعمرةٌ من الخروب والبلوط والسنديان، وإلى الغرب منها وعلى ذات التلة مقبرة إسلامية قديمة تعود للفترة العثمانية وفيها قبور مهمة لأهل تلك البلد.[90]

وفي الجهة الشمالية من مقام النبي نون يقع سَهل يانون، الذي تقوم في طرفه العُلوي عدّة معالم أثرية مهمة منها أربع مقابر رومانية فيها (فسقيات) ومدافن متنوعة، وبجانبهن معصرة نبيذ كبيرة، وبرج حمام يوناني محفور بالأرض، إضافة إلى آبار مياهٍ قديمة، وكانت دائرة آثار الاحتلال في النصف الثاني من تسعينيّات القرن الماضي قد أجرت حفرية أثرية ونقبت فيهن.[91]

شرقَ مقامِ نبي الله نون، تقع قلعة رومانية كبيرة متهدمة، إلا من أساساتها القائمة حتى يومنا، وإلى الشمال الغربي منها أشجار بلوط مُعمرة تقودك إلى خربة في مدخل جبل النبي نون الشمالي وفيه مغارة مهمة تُعرف باسم مغارة القطارة (مغارة العرائس).[92]

وإذا اتجهنا شمالًا من يانون التحتا فإننا نمضي في طريق تقودنا إلى يانون الفوقا والتي تعرف تاريخيًا باسم (خربة يانون) وفيها مقابر ومدافن محفورة في الصخر، وآبار ومعالم قديمة فيها من العجب الكثير، وفيها عين يانون، وهي عين ماء غزيرة كانت تغذي أهل يانون وعقربا بالماء، ومنها سُحب خط ماء إلى يانون التحتا وأنشئ عليها خزان لا يزال قائمًا حتى يومِنا، يشرب منه الأهالي، ويتوسط يانون الفوقا منزل صادق عبد الله آغا النمر، وهو بيت بني في يانون الفوقا عام 1927م بعد زلزال نابلس الشهير.[93]

وبالقرب من يانون الفوقا يقع مقام (عرق الخضر)، ومنها كانت الطريق إلى جبل الجدوع ومقام الشيخ محمد، ومنها إلى خربة طانا وبلدة بيت فوريك.[94]

90 مقام النبي نون: مقامٌ إسلامي مملوكي البناء، على تلّة مُرتفعة تشرف على الغور وتطل على الوادي الأحمر، يتكون من غرفة وبجانبها رواق وحوله حويطة حجر، وتحيط بالمقام أشجار بلوط وخروب وسنديان مُعمرة، وإلى الجنوب منه مسجد مملوكي البناء متهدم إلا من أساساته ومحرابه، وإلى وقت قريب كان المقام معمورًا بالزيارات وممارسة طقوس وعادات ومعتقدات شعبية كخميس الأموات (خميس البيض) وموسم النبي -موسى عليه السلام- وعادات تقديم النذور والختان والطهور وغيره.

91 حفريات المنطقة الأثرية: بعد قيام سلطة الآثار الإسرائيلية بالتنقيب في المنطقة اكتشفت هذه الآثار المهمة والتي لم تكن ظاهرة فيما سبق، ثم بدأت حركة نشطة من المُنقبين للبحث عن آثار ومقابر، وهو ما أدى لاكتشاف مئات المقابر والمدافن والسراديب والآبار وبقايا المعالم المهمة والتي يعود أغلبها للفترة الرومانية وما قبلها.

92 كهف القطارة (مغارة العرائس): تقول الروايات الشفوية بأن سبع عرائس جنيّات كُن يظهرن في هذه المغارة في أوقات محددة من السنة، ولذا تحظى باحترام وقدسية وتعامل معاملة المقامات المباركة.

93 تُعرف يانون الفوقا باسم الخربة، وتدل غالبية الآثار فيها على أنها منطقة مأهولة من الفترة الرومانية ثم خربت وهجرت وصارت خرابًا وبقي الأهالي يُقيمون في المغر والكهوف وبعض البيوت المتواضعة، وبعد زلزال نابلس أقام السيد صادق آغا النمر وعائلته في يانون دخل خيمة فتعرضت زوجته للدغة عقرب، فقرر يومها بناء بيتهم في هذه القرية، ولا يزال البيت قائمًا حتى اليوم، وقد استخدم كمنزل للمتضامنين الأجانب.

94 مقام الشيخ محمد: أحد أهم مقامات الأولياء في منطقة جنوب شرق نابلس ويقع على قمة جبل يُعرف باسم جبل

وفي الغرب الجنوبي من قرية يانون يقع جبل العرمة أحد أقدم الجبال الأثرية في المنطقة، والذي تقع على قمته خربة أثرية كانت مأهولة بالسكان من العصر البرونزي المتقدم حتى الفترة الأموية، وهو رابع قمةٍ من حيث العلو في منطقة نابلس.[95]

وعلى مدخل يانون الجنوبي، وقبل دخولك إلى القرية، يقع مقام الشيخ ربّاع، وهو شجرة خروب تقوم عند أول مَجرى واد الردم الذي يحمل ماء القرية شرقًا نحو الواد الأحمر، ومنه إلى نهر الأردن، وهو واد غنيٌّ بالمعالم، وفي مجراه عدّة خرب وآثار متهدمة، وعلى أطرافه عيون ماء كنبع الجهير وعين الدّوا، وهو من أهم روافد نهر الأردن في مشاريق نابلس.[96]

وينطبق على مناخ قرية يانون ما ينطبق على مناخ سلسلة جبال نابلس الوُسطى، ومتوسط درجة الحرارة في الشتاء يَبقى دون 10 درجات مئويةٍ، أما في فصل الصيف فالحرارة مُعتدلة، وتقل الأمطار كلما انحدرنا شرقًا نحو الأغوار وهي غير مُنتظمة السقوط، أما منطقة الأغوار التي تتبع القرية فتمتاز بارتفاع كبير في درجات الحرارة، ويكون متوسطها (25) درجة مئوية، وهو أعلى متوسط في فلسطين.

كما أن لقرية يانون حُضورها وثقلها الاجتماعي والسياسي رغم صغر حجمها، ومن أبرز رجالاتها الوطنيين د. مصطفى بك بشناق، الطبيب الوطني الذي كان من أطباء الجيش العثماني، وتولى لاحقًا مناصب إدارية مهمة في فلسطين، وكان أحد قادة الإضراب الكبير وثورة 1936-1939 في نابلس، وأصبح عضوًا في البرلمان الأردني أيام وحدة الضفتين. وكذلك شقيقه الأستاذ سعيد بك بشناق الذي تولى إدارة مدارس ومؤسسات تعليمية في طولكرم وجنين وغزة والناصرة في النصف الأول من القرن الماضي، وكان من الفاعلين وطنياً ومن أبناء يانون أيضاً المناضل علي مراد بشناق أحد مؤسسي العمل الفدائي في سوريا برفقة أحمد جبريل.

كما أنّ يانون احتضنت أحد أبطال الذاكرة الشعبية الفلسطينية، وهو أحمد المحمود الطموني الشهير بـ (أبو جلدة)، وذلك في الأعوام 1929-1933م، وفي يانون أقام لفترة وجيزة عدد من قادة ثورة 1936 -1939 أمثال: خميس العقرباوي وعبد الله البيروتي وحافظ النجداوي.[97]

الشيخ محمد، ويرتفع 851 مترًا عن سطح البحر، وقد قام المستوطنون بهدمه نهاية تسعينيّات القرن الماضي، وبعد ذلك بعدة سنوات بني في موقعه قبر صهيوني باسم (جدعون).

95 موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى-كفر قرع 1991، الجزء الثاني - القسم الثاني الصفحة: 306.

96 الواد الأحمر: أحد خمسة روافد تحمل مياه جبل نابلس إلى نهر الأردن، ويبدأ الوادي من طرف يانون الشرقي ويسير نحو غور عقربا مرورًا بسهل فصايل ويصب في نهر الأردن، وللوادي ذاكرة وتاريخ مهم فقد جرت فيه عدة عمليات فدائية بين الأعوام 1970-1967م.

97 لعب موقع يانون النائي والخفي عن الأنظار دورًا مهمًا في كونها ملاذًا يمكن للفارين والملاحقين الاختباء فيه، وإلى الشرق من يانون يقع سهل إفجم، ومنه كانت تمر الطريق التاريخية المعروفة باسم طريق المتبوعين أو الهاربين (الخارجين على الدولة).

ثانيًا: البنية التحتية والخدمات في يانون

إنّ موقع يانون الواقع على جانب الطريق القديمة التي تربط مدينة نابلس بمدينة أريحا (طريق نابلس - فصايل)، ومنها تمر الطريق إلى قرى: عقربا، مجدل بني فاضل، والأغوار، قد أكسبها أهمية خاصة، غيرَ أنّ الحياة توقفت في يانون عام 1967م حين احتلال الضفة الغربية، حيث ضُيِّقَ الخناق على القرية وصودر الجزء الأكبر من أراضيها في الأغوار باعتبارها مناطق عسكرية، أو أملاك غائبين، خصوصًا مع إلغاء طريق نابلس فصايل القديمة وشق طريق بديل، ثُمّ شق طريق آلون الاستعماري الذي عزل قرى السفوح الشرقية عن أراضيها في الأغوار.[98]

وبقيت قرية يانون تُعاني من فقدان الخدمات وانعدام البنى التحتية حتى وقت قريب، وحتى سنوات مضت كانت القرية في القسم الشمالي منها تعتمد على مياه العين وعلى مولد للكهرباء للإنارة، وكلاهما اعتُدِيَ عليهما من المستوطنين، فأُحرق مولدُ الكهرباء ولوِّثَتْ عين الماء أكثر من مرّة، وحتى اليوم تفتقر يانون إلى خدمات الصرف الصحي، والاتصالات، وإلى عيادة أو مركز صحّيّ يقدم الخدمات الطبية.[99]

تتجلّى معاناة يانون أكثر ما تتجلّى في خنقها عن التواصل مع محيطها، إلا عبر طريق واحدة هي طريق عقربا يانون، الأمر الذي شكّل تحديًا للأهالي الذين يتوجهون إلى مدينة نابلس للتعليم أو العمل أو لشراء بعض احتياجاتهم، إذ إنّ عليهم التوجه إلى بلدة عقربا ومنها إلى المدينة، ويزداد الأمر تعقيدًا عند العودة مساءً، فلا توجد مواصلات منتظمة، بل وينشط المستعمرون في مهاجمة السيارات والمارة على طريق عقربا - يانون.

وخلال السنوات الماضية كانت مهمة المجلس القروي في يانون صعبة، إذ خاض معارك حقيقية في مواجهة اعتداءات المستعمرين، وفي النضال على جبهة الحقوق الأساسية اللازمة لحياة الناس وسط هذا التجمع المُحاط بالمستعمرين، وبالكاد استطاع تثبيت وجود مدرسة تعتبر الأصغر في الشرق الأوسط، وانتزاع حقها في شبكة كهرباء وماء تخدم القرية بكلا التجمُّعين، وإن كان المجلس قد خسر وجوده، حين تم حلّه من قبل الحكومة الفلسطينية وإلحاقه إدرايًا لبلدة عقربا.

تتولى بلدية عقربا حاليًا تقديم الخدمات لتجمع يانون، وتقوم بواجباتها اللازمة، وقد استطاعت البلدية تمديد شبكة كهرباء وخط مياه لقرية يانون،

98 تاريخ الاستيطان اليهودي في منطقة نابلس، محمد عودة غلمي. دار الريان- فلسطين 2001، الصفحة 134.
99 السيد راشد فهمي مرار - رئيس مجلس يانون السابق ومسؤول القرية الحالي. (مواليد 1967) مقابلة بتاريخ 2017\2\18.

وتسعى، حاليًا، وبالعمل مع أ. راشد مرار رئيس مجلس قروي يانون السابق ومن يُدير التجمع حاليًا، ويتابع قضاياه لتقديم الخدمات والاحتياجات اللازمة وتوفير مقومات الحياة التي تُسهم في تثبيت الناس في أرضهم وتعزز من مقومات صمودهم على الأرض.[100]

غير أن أكبر تحديات البقاء في يانون تتجلى اليوم في سياسة الاحتلال بمنع البناء و/ أو إضافة أية مرفقات وغرف على البيوت القائمة، مع استمرار وتصاعد موجة الاعتداءات اليومية، الأمر الذي أصبح تحديًا للأهالي، فهم لا يستطيعون استحداث أي بناء لأبنائهم الشبان المُقبلين على الزواج، الأمر الذي يدفعهم للبناء في البلدات المجاورة والاستقرار هناك بعيدًا عن مجتمعهم وقريتهم، وهو ما يخلق مع الوقت حالة عُزلة وفراغ في القرية، يملأ قليلًا منها كبارُ السّن المقيمون في القرية فقط، ومن ناحية أخرى، فإنه يرفع من تكاليف الحياة عليهم باضطرارهم لشراء أراضٍ والبناء عليها خارج ممتلكاتهم المحاصرة والمصنفة كمناطق (ج) في يانون.[101]

ثالثًا: الاستيطان في يانون

عانت قرية يانون مُبكرًا من آثار الاحتلال الإسرائيلي، ودفع الأهالي المقيمون فيها ثمنًا كبيرًا لقاءَ صمودِهم وتحدّيهم لسياسات الاحتلال، وإذا كنّا نتحدّث عن آثار الاحتلال على الإنسان والأرض، فإن جزءًا من أهالي يانون المُقيمين فيها هُجِّروا إليها من قرية عجور قضاء الخليل عام 1948م، وأقاموا في القرية مع أهلها من البُشناق، واشتروا أرضًا وعمروها، وهم شاهدٌ على تواصل النكبة واستمرار سياسة التهجير والاقتلاع القسري منذ قيام دولة الاحتلال حتى اليوم.

بيوت قرية يانون

100 بلدية عقربا : تأسس مجلس بلدي عقربا عام 1996م، حيث كان مجلسًا قرويًا من عام 1965م، ويتبع للمجلس حاليًا عدّة تجمعات مهددة بالاستيطان والاقتلاع مثل خربة الطويل شرق بلدة عقربا، وتجمع إفجم، بالإضافة لقرية يانون.
101 السيد راشد فهمي مرار (مصدر سابق).

ويمكن تقسيم مراحل الاحتلال والاستعمار في يانون، حسب مُتابعتي، إلى عدة عناوين ومراحل أرتبها كالتالي[102]:

المرحلة الأولى (1967-1982)

مرت حركة الاستعمار في المنطقة بعدّة مراحل، وفقًا لأيديولوجيات الحركات الصهيونية وطبيعة الحكومات الصهيونية المتعاقبة، ولعل العلامة الفارقة في المشروع الصهيوني في الضفة الغربية، والتي كانت قرية يانون إحدى ضحاياها، هي خطّة آلون، والتي اقترح بموجبها الوزير الصهيوني (إيغال آلون) إقامة سلسلة مستعمرات وحزام أمني استعماري بعمق (25-20) كم إلى الغرب من نهر الأردن، مهمته حماية الحدود مع شرق الأردن.[103]

جاء تنفيذ خطة آلون في العام 1968 تتويجًا للقرارات العسكرية الإسرائيلية التي اعتبرت الأغوار مناطق عسكرية، وعلى ضوء ذلك بدأ جيش الاحتلال سياسته بملاحقة أصحاب الأغنام المزراعين والتضييق عليهم ومصادرة أراضيهم ومنعهم من الوصول إليها.

وبسبب ذلك، فقدت يانون الجزء الأكبر من أرضها في الأغوار، الأمر الذي حدث مع بلدة عقربا كذلك، وأُخْرِجَ أصحاب الأرض منها بقوة النار عبر سياسة البطش الممنهج كإطلاق النارَ على الأغنام، واعتقال الرعاة وإقامة معسكرات تدريب لجيش الاحتلال في مناطق الرعي، وأكثر من ذلك حيث عَمدت سُلطات الاحتلال لرش السهول المزروعة بالقمح في مناطق شفا الغور بالمبيدات، وذلك عبر الطائرات العسكرية، وذلك في 17 نيسان (أبريل) 1972م، فدمرت آلاف الدونمات في مناطق: الطويل، مراس دين، الفخت، دامية، المطارق، الرّوّاع، خلّة الراهب، وقطعة الحية.[104]

بعد ذلك تسارعت عملية إقامة المستعمرات في الأغوار، والتي شكلت خطوط الدفاع الأولى للاحتلال في منطقة الأغوار والحدود الشرقية للضفة الغربية، وقد خدمت هذه المستعمراتِ الحديثة شبكةُ طرق ربطت بينها وبين معسكرات جيش الاحتلال المتناثرة في المنطقة وأهمّها معسكرا فصايل والجفتلك، وتحوّلت عشرات نُقاط جيش الاحتلال التي أنشئت في النصف الثاني من العام 1967 كمعسكرات ونقاط لسلاح (الناحال) إلى مستعمرات زراعية، وبذلك يكون الاحتلال قد بَسطَ نُفوذَه على الأرض تحت حججٍ وأبعادٍ عِدة، أهمُّها البعد الأمني والاقتصادي المدفوع بخلفيات دينية

102 كنت رصدت ووثقت الاعتداءات الصهيونية على قرية يانون وجعلت لها سجلًا يومياً دونت فيه أبرز الاعتداءات التي وقعت بين الأعوام 2000 - 2008 وذلك بالاستعانة برئيس المجلس أ. راشد فهمي مرار، وبعض النشطاء الذين عملوا معنا تطوعًا في اللجنة الشعبية لمقاومة الاستيطان ومنهم أ. يوسف ديرية، وشكّلتْ بلديّةُ عقربا هذه اللجنة في حينه

103 الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا. البروفيسور اليشع أفرات، ترجمة دار الجليل للنشر طبعة:1991، الصفحات: 47- 62.

104 الحاج نافز ناصر أبو ناصر (أبو ماهر) مواليد 1938م، مقابلة بتاريخ 15\11\2021

وتاريخية وسياسية، ولم يدّخر الاحتلال أسلوبًا يُضيّق به على أصحاب البلاد لإخراجهم منها وتمليكها للمستعمرين إلا وفعله، عبر سياسات وخطط ومشاريع مُعلن عنها، أو عبر سياسات وخطط مُمنهجة غير معلن عنها.[105]

ومن مستعمرات الاحتلال التي أقيمت خلال هذه الفترة شرق يانون وعلى أطراف امتداد أراضيها وأراضي بلدة عقربا في الأغوار[106]:

1. **مسواة:** أقيمت عام 1969م وموقعها في غور الأردن (فتحة وادي الفارعة) على ارتفاع (237 م) عن سطح البحر، أسفل قرن سرطبة، وكانت نقطة عسكرية لسلاح (الناحال) الصهيوني (ناحال مسواه)، وتحولت عام 1974 لمستعمرة زراعية، وهي من المستعمرات الأولى في غور الأردن، وقد استغلت الأراضي الزراعية وزرعتها بأشجار النخيل والمحاصيل المبكرة، وتشكل مع مستعمرة (أرجمان) نقطتين استراتيجيتين في إغلاق وادي الفارعة نظرًا لإشرافهما على الطريق المؤدية إلى نابلس من وادي الأردن، ومعنى اسمها (المنارة) أو (الشعلة) وهو اسم رمزي يرتبط بخرافة إشعال النار على قرن سرطبة.

2. **أرجمان:** أقيمت عام 1971 على أراضي غور الفارعة، على ارتفاع (185م) عن سطح البحر، وتبعد عن نهر الأردن كيلو متر واحد، ويقابلها من الجانب الأردني غور أبي عبيدة، واسمها من الأحرف الأولى من اسمي (أريك ريجف وجاد مانيلا) وهما من ضباط جيش الاحتلال اللذيْن قتلا على يد الفدائيين في معركة واد زمور (الواد الأحمر) بتاريخ 27\7\1968 في غور عقربا، وقد أنشأتها حركة (بيتار) الصهيونية.

3. **بتسائيل:** أقيمت عام 1972 على أراضي خربة فصايل التابعة لبلدة عقربا، وتقع على انخفاض (242م) تحت مستوى سطح البحر، وتعتبر من المستعمرات الزراعية وتشتهر بزراعة الكروم بالإضافة إلى أشجار النخيل، وتحمل اسم المدينة التاريخية التي أنشأها هيرودس في الفترة الرومانية.

4. **جيتيت:** أقيمت عام 1972 على أراضي بلدة عقربا، وكانت معسكرًا لجيش الاحتلال (سلاح الناحال المحارب)، قبل أن تتحول لمستعمرة في العام 1975م على يد حركة (بيتار) الصهيونية، وترتفع المستوطنة (337م) عن سطح البحر، وتشكل هذه المستعمرة الزراعية جزءًا مهمًّا من مستعمرات الخط الدفاعي الثاني، حيث تقع ضمن المستعمرات الأمنية المُشرفة على وادي الأردن، وموقعها يفصل قرى: عقربا، يانون، ومجدل بني فاضل عن امتداد أراضيها الزراعية والرعوية في الأغوار، وجيتيت كلمة توراتية تعني أداة أو آلة موسيقية.

105 انظر تفاصيل ذلك في كتاب: تاريخ الاستيطان اليهودي في منطقة نابلس، محمد عودة غلمي. دار الريان- فلسطين 2001. وكتاب: الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا، البروفيسور اليشع أفرات، ترجمة دار الجليل للنشر طبعة:1991.

106 هذه وما بعدها: الغور النابلسي: غور عقربا، حمزة ديرية 2016 (بحث غير منشور)

5. **جلجال:** أقيمت عام 1973 على أراضي فصايل التي تتبع ملكيتها لبلدة عقربا، تقع على انخفاض (236م) تحت مستوى سطح البحر، وهي مستعمرة زراعية، وتحمل اسمًا توراتيًّا بمعنى العجلة المستديرة، وكانت نقطة لسلاح الناحال الصهيوني منذ العام 1970م.

6. **مخورا:** أقيمت عام 1973م شمال غرب قرن سرطبة، وفي البدء كانت نقطة عسكرية لجيش الاحتلال (سلاح الناحل) ثم تحولت إلى مستعمرة زراعية، وتعني الأصل أو المنشأ.

7. **شلومتصيون:** أقيمت عام 1977م، وهي من المستعمرات الصناعية الريفية، هدفها خدمة المستعمرات القريبة، وتقع على انخفاض (250م) تحت مستوى سطح البحر، وهي تشكل مع مستعمرة (يافث) كتلة أمامية واحدة في منطقة الغور، وتتصلان مع مستعمرة معاليه أفرايم بشارع، لتشكّلا خط دفاع أولي في منطقة الغور، وتعتبر اليوم مركزًا إداريًّا مهمًّا لمستعمرات الغور.

8. **تومر:** أقيمت عام 1978م بالقرب من فصايل وتوسعت تجاه أراضي قرية عقربا الزراعية شرقًا، وتنخفض (200م) عن مستوى سطح سطح البحر، وتعتبر من المستعمرات الزراعية، إذ تستغل المنطقة السهلية المحيطة بها في زراعة المحاصيل المبكرة وأشجار العنب والخضروات والفاكهة وأشجار النخيل، ومعنى كلمة تومر: شجرة النخيل.

9. **يافث:** أقيمت عام 1980م، على بعد 3كم جنوب قرن سرطبة، وتعتبر من المستعمرات الزراعية، أقيمتْ على أراضي فصايل التي تتبع ملكيتها لبلدة عقربا، وتحمل اسم المقدم (يوسي يافيه) أحد قادة الاحتلال الذين شاركوا في احتلال البلدة القديمة في القدس، وقد قتل بانفجار لغم أرضي عام 1977.

10. **هتيف جدود:** أقيمت عام 1975م جنوب فصايل على أراضٍ تتبع ملكيتها لعقربا، ويعني اسمها: (مسار الكتيبة/ درب القوات) نسبة إلى الفيلق اليهودي الذي قاتل مع الإنجليز ضد العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وكان موقعه في الغور، وتعتبر مغتصبة زراعية.

11. **معاليه أفرايم:** أقيمت عام 1978م على أراضي قرية مجدل بني فاضل، وتعتبر هذه المستعمرة كُبرى المستعمرات الواقعة على الهضاب المُشرفة على وادي الأردن، وترتفع (178م) عن سطح البحر، وسُمّيتْ نسبة لسبط (أفرايم بن يوسف)، وتعتبر مركزًا إداريًّا أساسيًا في مستعمرات السفوح الشرقية والغور، وفيها مؤسسات استعمارية وأمنية كبرى، كما تتبع لها منطقة صناعيّة نشطة.

12. **مجدليم:** أقيمت عام 1983م على أراضي قرية قصرة، وتمتد بنفوذها وسيطرتها الحالية إلى الأراضي المحيطة بها، وحملت المستعمرة اسم قرية المجدل بمعنى (البرج أو المنطار)، وهي من المستعمرات التي تُشرف على الغور، وقد بدأت مشاريعها الزراعية بالقرب من تلّة النجمة بين قرى (جوريش، مجدل بني فاضل، قصرى، عقربا).

وتمت خلال هذه الفترة، في المناطق الشرقية من يانون في الغور تحديدًا، إقامة معسكرات ونقاط عسكرية لجيش الاحتلال، كمعسكريْ الجفتلك وسد حريز (فصايل)، اللذان أقيما على موقع معسكرات الجيش الأردني، وكذلك محطة الرادار والمراقبة في جبل (عمرة) شرق قرن سرطبة والذي يتولى جيش الاحتلال من خلالها مراقبة الغور الأردني، أما معسكر جيش الاحتلال بين قريتي عورتا - حوارة والذي يقع على جانب طريق يانون - نابلس، فقد تمكّن من السيطرة على جانبي الطريق وأخضعها لسيادة جيش الاحتلال وسيطرته.

المرحلة الثانية: (1983-1995)

أغلقت الدروب بوجه أهالي قريتي يانون عقربا نحو الشرق، وصارت المستعمرات التي أنشئت في الأغوار أمرًا واقعًا تفرض هيمنتها وسيطرتها على تلك المناطق، وتحول دون قدرة الأهالي على الوصول لها للزراعة ورعي المواشي، وحاولت هذه القرى تعويض ما فقدته عبر الزراعة والرعي في المناطق الشفا غورية المتاخمة لحدودها، وخصوصًا في مناطق: سهل الطويل وسهل يانون ومنطقة القطعة وعين الدّوا ونبع الجهير وما حولهما من مراعٍ وسهول وتلال.[107]

غير أنّ الأمر لم يدم، ولم يُعط الاحتلال المزارعين وأصحاب الأغنام فرصة لالتقاط أنفاسهم، حتى بدأت موجة جديدة من الاستيطان تحاصرهم قريبًا من بيوتهم، وكانت دوافع الاستعمار، هذه المرّة، توراتية، حيث استحضر الصهاينة رواياتهم وخرافاتهم التي جعلت من هذه المنطقة ذات بُعد تاريخي توراتي، فانطلقوا يبحثون عن الجغرافيا التي تلائم رواياتهم الاستعمارية، وقد شهد كبار السن في قريتي عقربا ويانون على المحاولات المستميتة لرواد الاستعمار الذين كثفوا من زيارتهم للمنطقة كسُيَّاح، وقد كان لمُجابهة الفلاحين لهم وطردهم من بعض المناطق دور في تغيير المواقع التي حددت لإقامة مستعمراتهم الأولى في المنطقة.

107 عين الدوا: عين ماء مزروع في محيطها بيارة ليمون لعائلة قصقوص من عقربا، وقد تعرضت لاعتداءات ممنهجة من المستوطنين، فتم تدمير وسرقة خلايا الطاقة الشمسية وهدمت الغرف وفي محيطها، وقام جيش الاحتلال بهدم منزل أبو غنيم المبني في قمة الجبل من خمسينات القرن الماضي، واعتُدِي على الرعاة وأصحاب الأرض وأصبحت البيارة جنة وسط الجحيم

كانت البداية بالنسبة لقرية يانون هي مستعمرة ايتمار والتي أقيمت في العام 1983م، تحت اسم تل حاييم، قبل أن يقترح أكاديمي صهيوني تغيير اسمها إلى إيتمار. [108]

ويعتبر الحاخام العسكري في جيش الاحتلال العقيد أفيخاي رونتسكي (الحاخام الأكبر لجيش الاحتلال فيما بعد) أحد مؤسّسي مستعمرة ايتمار، وهو مؤسس المدرسة الدينية في المستعمرة ومديرها لسنوات، إذ كانت النواة الأولى لهذه المستعمرة في تلال يانون، قبل أن تتوسع تجاه أراضي وجبال بيت فوريك وعورتا، ثم كانت كوحش أفلت من عقاله فانطلقت تلتهم الأرض، ومنها انطلقت أولى جرائم قتل المزارعين وخصوصاً في مواسم قطف الزيتون. وفي منتصف التسعينيّات كانت بلدة عقربا قد فقدت آلاف الدونمات من أرضها لصالح ذات المستعمرة الأكبر مساحة وجغرافية في المنطقة.[109]

وبدأت الحياة تتغير في المنطقة، وصار الاستعمار واقعًا مُرعبًا يتمدد كل يوم ويسيطر على التلال، ويفرض سطوته بالقوة المدعومة من جيش الاحتلال.

المرحلة الثالثة: (1996-2007)

يمكننا اعتبار هذه الفترة هي الذروة الاستعمارية في يانون، إذ صودرتْ آلاف الدونمات الزراعية والرعوية، وفُرضت إجراءات جديدة وأقيمت تجمُّعات سكنية وزراعية ومنشآت تابعة للبؤر الاستعمارية، وصار الاعتداء على الأهالي وبيوتهم وممتلكاتهم حالة يومية متكرّرة، وتميّزت هذه الفترة بسرعة إنشاء البؤر على قمم الجبال والتلال، فكانت تُقام البؤر الاستعمارية في ليلة واحدة، فما يطلع الصباح حتى تكون المستعمرة قد أقيمت من برج مراقبة وبعض (الكرفانات) الجاهزة، وأحيانًا، تُنصب خيمة تسبق البيوت الجاهزة، ليتلو ذلك عملية وضع السياج، وهذا نموذج قديم في حركة الاستعمار الصهيوني وقد عرف في ثلاثينيات القرن الماضي باسم: (مواقع الأبراج والسياج).[110]

وقد خلق الاستعمار خلال هذه الفترة حالة جديدة من الحياة تقوم على سيادة المستعمرين في التلال والجبال، بدعم وحماية جيش الاحتلال الذي استخدم القوة المفرطة لتثبيت هذه المعادلة على الأرض.

108 تاريخ الاستيطان اليهودي في منطقة نابلس (مصدر سابق) ص 193-192.
109 تاريخ الاستيطان اليهودي في منطقة نابلس (مصدر سابق) ص: 231.
110 الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا. البروفيسور اليشع أفرات، ترجمة دار الجليل للنشر طبعة:1991. صفحة 247

أعلن جيش الاحتلال عام 1997م عن مصادرة عشرة آلاف دونم وضمها لصالح مستعمرة إيتمار، لتقام عليها خمس بؤر ستعرف لاحقًا بأسماء: (تل حاييم) أو التلة (777)، جدعونيم، التلة 805، مزرعة أفيري، والتلة 782.[111] يمكنني القول إن موجة الاستعمار المسعورة في يانون بدأت من لحظة إنشاء البؤرة (جفعات عوليم) التي تعني: (التلال الأبدية أو مرتفعات الخلود)، والتي بدأت فعليًا قبل إعلان المُصادرة بسنة واحدة، وقد أنشأها الصهيوني المتطرف (أفري ران)، وهو عقيد متقاعد في جيش الاحتلال، ويتمتع بحماية الجيش وقوات حرس الحدود، ويقوم بزيارته وتشجيعه كبار رجال الدولة الاسرائيلية ونواب الكنيست والمتدينون المتشددون.[112]

عام 1998م أنشأ هذا المستعمر مزرعة كبيرة، وتوسعت مع الوقت، وبدأ باستقبال الشُبّان «المُضطربين» للعمل عنده في البناء والمزرعة، ومن هؤلاء ولدت المجموعات الأولى لـ «شبان التلال»، وهو الاسم الذي أطلقه الإعلام الإسرائيلي على المتطرفين الصهاينة الذين شنوا هجومهم على القرى والتجمعات الفلسطينية، واعتبر (أفري ران) الأب والزعيم لمجموعات (شبّان التلال).

أقيمت نهاية عام 1998م بؤرة استعمارية جديدة في الجبال الشرقية من القرية، حملت اسم (التلة جفعات أرنون)، أو (التلة 777)، وهذا الرقم نسبة لارتفاعها عن سطح البحر، وجاءتْ هذه البؤرة كتوسُّع لحالة الاستعمار الصهيوني في يانون، قام المستعمرون بعد ذلك بتغييرِ الاسم لتحمل اسم حارس المستعمرة الذي قتل في انتفاضة الأقصى ويدعى (آريه آرنولد أنجريون)، حيث اختير حرفان من اسمه (آر) وأضيف لهما الاسم: نون وهو اسم مقام إسلامي يقع على التلة التي تقابل البؤرة الاستعمارية ضمن أراضي قرية يانون، وبهذا أصبح اسم البؤرة: جفعات أرنون.30

ويعمل سكان البؤرة الاستعمارية في الزراعة وتربية المواشي، وقد أنشأ المستعمرون معصرتي نبيذ في البؤرة؛ لاستغلال المساحات التي تمت سرقتها ومصادرتها، وقد زُرعتْ بآلاف أشجار العنب.

وعند الحديث عن ظاهرة المستعمرين الجُدد التي صُنِعتْ في مستعمرة إيتمار والبؤر التابعة لها (جفعات عوليم وجفعات أرنون والتلة 836 وجدعونيم)، يمكننا القول إن أعمارهم تتراوح بين 15 - 30 عامًا، وسرعان ما انطلقوا للعمل في الزراعة وتربية الأغنام، وتتّسم حياتهم بالبدائية والعيش في (الكرفانات) والخيام، وغالبيتهم من المتشددين الذين يدرسون في المدارس التلمودية الأكثر تطرفًا، ومنها مدرسة إيتمار الدينية، ومنهم انطلقت عصابات (تدفيع الثمن) التي مارست القتل والتخريب في البلدات الفلسطينية.[113]

111 الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا (مصدر سابق). ص 247

112 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 2012-1870. ترجمة وإعداد: علي نجم الدين، صادر عن هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، الطبعة الأولى 2014. الصفحة: 356.

113 ارتكبت عصابات تدفيع الثمن عدة جرائم في يانون والقرى المحيطة بها، كخط الشعارات العنصرية والمسيئة، وخلق حالة رعب عند الآمنين، وذلك تحت حماية الجيش، وكذلك حرق مسجد أبي بكر الصديق في طرف عقربا

ومع بداية الانتفاضة الثانية عام 2000م بدأت هذه المجموعات المتطرفة في تنفيذ سلسلة هجمات على قرية يانون والقرى المحيطة بها، ثم تصاعدت موجة الاعتداءات مع تفكيك مستوطنات غزة عام 2005، إذ استقطبت كل المتطرفين الصهاينة لصفوفها، ومن هؤلاء تشكلت النواة الأولى لظاهرة (الاستيطان الرعوي)، فبدأوا بالسيطرة على الجبال ومناطق السفوح الشرقية والأغوار.

في يانون، وتزامنًا مع هذه الظاهرة الاستعمارية الجديدة هوجمت البيوت واعتُدِيَ على المزارعين، وأطلقت النيران عليهم، وتم تكسير نوافذ البيوت، وفجرت خزانات الماء، وأغلقت الطرق، وقتل اثنان من الأهالي، وأطلقت النيران على السيارات وتم تلويث عين الماء وأحرق ماتور الكهرباء، وقطعت الأشجار وسرقت الأغنام، واعتدي على كبار السن والأطفال، وتم ضرب رئيس مجلس يانون السابق عبد اللطيف مرار في بيته،[114] وهوجم المُتضامنون الأجانب، وقد وثق المجلس القروي في يانون قرابة 800 اعتداء خلال ثلاث سنوات فقط (2003-2000م)، وصارت الحياة جحيمًا يوميًا اكتملت فصوله بالهجوم على القرية وترحيل أهلها بالكامل، في عملية تهجير قسري بتاريخ 19\10\2002.[115]

بتهجير أهالي يانون وإخلائهم منها بالكامل، نتيجة الاعتداءات والاضطرار إلى الرحيل والاستقرار في بلدة عقربا، بدأت حركة تضامن فاعلة من نشطاء سلام ومتضامنين أجانب من كل دول العالم، وقد أقاموا في يانون واستطاعوا إعادة جزء من الأهالي لبيوتهم فيما آثر البعض البقاء في عقربا حماية لأطفاله من الرعب اليومي.[116]

الجنوبي، ومحاولة حرق مسجد الشيخ أبو شاهر في طرف عقربا الغربي، وحرق بركسات وبيوت وخط شعارات عنصرية في الحي الجنوبي. ولعل أبشع جرائمهم كانت حرق عائلة دوابشة في قرية دوما.

114 السيد عبد اللطيف يوسف صبيح بني جابر (1965- 2018): رئيس مجلس يانون والمسؤول عن القرية حتى العام 2004، وكان متطوعًا ومدافعًا صلبًا عن قريته وأهلها، وقاد بشجاعة عمليات التصدي للمستوطنين ومحاولاتهم لإجبار الأهالي على ترك القرية والتخلي عن بيوتهم، أصيب بمرض مفاجئ فأقعده في الفراش غير قادر على الحركة، وبقي كذلك حتى وفاته في 31 يناير 2018، وكان الرجل قد تعرض لاعتداءات المستوطنين وتحمل الأذى الشديد منهم بين الأعوام 2004-2000م، ويعتقد بعض الأهالي بأن مرضه الذي أقعده غريب، ولذا قد يكون للمستوطنين يدٌ فيه.

115 التهجير من يانون: كان التهجير الكبير قد وقع يوم 19\10\2002 والذي أنهى التواجد العربي في يانون بشكل كامل، وذلك كنتيجة للهجمات اليومية التي استهدفت الأهالي والبيوت، غير أن هذا التهجير سبقته عدة أحداث مُشابهة، حيث اضطر الأهالي إلى الهرب من بيوتهم والنجاة بأرواحهم من إرهاب المستوطنين ونيرانهم، ومما نذكره أنه لولا تسارع الأهالي في القرى المجاورة لإنقاذ السكان في يانون أكثر من مرة لحدثت مجازر مُرعبة بحقهم، حيث كان الاعتداء يتم عليهم ليلًا وهم نيام في بيوتهم، وفي بعض تلك الاعتداءات أقام جيش الاحتلال حاجزًا بين قريتي عقربا ويانون ومنع الناس من الوصول لإنقاذ المحاصرين برصاص المستوطنين.

116 التضامن مع يانون: بعد تهجير الأهالي بدأ نشطاء السلام اليهود من عدة منظمات بالعمل لإعادة الأهالي لقريتهم، والتواجد معهم لتوثيق ورصد الاعتداءات ومحاولة خلق زخم إعلامي يمنع الاعتداء عليهم، ثم تولى مهمة رصد الانتهاكات وتوثيقها مجموعة من المتضامنين من خلال مجلس الكنائس العالمي (EAPPI)، وذلك ضمن برنامج المرافقة المسكوني في فلسطين، وقد تعرض هؤلاء المتضامنون للاعتداءات وتم ضربهم ومهاجمة منزلهم وسرقة كاميراتهم ومنعوا في الكثير من الأوقات من تغطية وتصوير الاعتداءات التي تتم على الأهالي.

ويمكنني تلخيص سلسلة الاعتداءات التي تمت في هذه الفترة بالآتي[117]:

1. الاستيلاء، بقوة السلاح وتحت حماية جيش الاحتلال، على آلاف الدونمات شرق وشمال وغرب يانون بما في ذلك سهل يانون الواقع في المنطقة المصنفة (ب).
2. منع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم لزراعتها أو لقطف الزيتون، بل وحتى الرعي بمواشيهم وأغنامهم، وتحديد أيام لأجل الحراثة وقطف الزيتون، واشتراط التنسيق مع (الارتباط الاسرائيلي) لأجل ذلك، واكتملت الجريمة بقطع 2000 شجرة زيتون أغلبها في وادي يانون.
3. الاعتداء شبه الدائم على أهالي يانون والمنطقة، وملاحقة من يمر من المناطق المهددة بالمصادرة، ويعمد المستعمرون لمهاجمة وضرب المزارعين وأصحاب الأغنام واحتجازهم وإطلاق النار عليهم وإلحاق الأذى بهم لمجرد تواجدهم في الأراضي الزراعية أو الرعوية.
4. إغلاق الشوارع التي تخدم مزارعي يانون وأصحاب الأراضي ومنع الناس من استخدامها، وشق طرق استعمارية جديدة لخدمة المستعمرات، ولتسهيل تحرك المستعمرين نحو الأراضي المهددة بالمصادرة أو تلك التي وضعتِ اليد عليها.
5. استخدام جيش الاحتلال والمستعمرين للقوة المفرطة وإطلاق النار على الأهالي، وقد أصيب 27 شخصًا، كانت إصاباتهم بين كسور ورضوض وفقدان البصر نتيجة هذه الاعتداءات المُباشرة.
6. إطلاق المستعمرين النارَ، بشكل مباشر ومتعمَّد، على الأهالي ما أدى إلى استشهاد الشاب هاني حمد الله بني منيه (25 عامًا)، وذلك بتاريخ 19/10/2002 .
7. قتل الحاج محمد حمدان بني جابر (51 عامًا) بتاريخ 25/2/2007 بالسكاكين والأدوات الحادة، أثناء رعيه للأغنام، حيث ترك ينزف حتى اليوم التالي، وقد عُثر عليه مضرَّجًا بدمه قبالةَ المستعمرة.
8. تلويث ومصادرة عيون المياه، ومحاولة منع الرعاة من الوصول إليها، وخلق حالة من عدم الأمان في محيطها، كما قام المستعمرون بوضع سمومٍ أدَّتْ لمقتل 150 رأساً من الغنم في وادي يانون عام 2002م.
9. تجوّل المستعمرين المسلّحين شبه الدائم بين منازل يانون وخلق حالة من الرعب والتهديد بالقتل، وشتم النساء بعبارات بذيئة، وخلق حالة نفسية غير مستقرة وخصوصًا لدى الأطفال.

117 ما تم توثيقه من قبلنا ومن قبل مجلس يانون أو الجهات المختصة خلال السنوات الماضية يعكس طبيعة الهجمة الشرسة التي تعرضت لها القرية، ومقدار الإرهاب الذي صُبّ على رؤوس الآمنين، ولا يزال الكثير ممن عاش تلك الفترة يعاني من آثارها النفسية والصحية.

المرحلة الرابعة: (2008-2023)

يَمتَلك الاستعمار الجبال ويسيطر على 80% من الأرض في يانون، وقد خُصَّتِ التلال والسهول في تفكير الاستعمار وتمددت ظاهرة (الاستيطان الرعوي)، وصار للمستعمرين أغنامٌ وأبقار ترعى على امتداد السفوح الشرقية، وفي المقابل منع الرعاة العرب من المرور من هذه المناطق، ناهيك عن الرعي فيها.

وبهذا أصبحت قرية يانون داخل سجن كبير مُحاط بالمستعمرات والبؤر من كل مكان، وصار على الأهالي دفع ثمن يومي للبقاء في قريتهم، وتجلت مأساة هذه المرحلة بأنه لا يمكن البقاء في يانون الفوقا، إذ لا يمكن استحداث أي غرفة جديدة، بل ويُسَجَّل، يوميًّا، اعتداء على الأهالي، وصار سَمْتُ هذه الحياة يقوم على الترقّبِ اليومي والقلق الذي لا ينتهي خوفًا من مهاجمة المُستعمرين للبيوتَ ومَن فيها، وأصبح على الأهالي أن يعيشوا تحت حِراب جيش الاحتلال وأبراجه العسكرية، إذ اعتلت الأبراج العسكرية قمم التلال وصارت الطرقات والدروب تحت سيادتهم وسيطرتهم، وتوج الاحتلال جرائمه في يانون مع بداية عام 2023م حين أعلن عن شرعنة البؤرة الاستعمارية (جفعات أرنون - التلة 777).

خاتمة :

مع اتّساع موجة الهجوم على القرى والبلدات العربية، والاستفراد الصهيوني بمناطق (ج) في الضفة الغربية، ومع تحوّل نموذج الاستعمار في منطقة يانون إلى حالة عامة، وسياسة استعمارية تُطبق في كل التجمعات الفلسطينية، تراجَعَ حضور التضامن وفاعليته ولم نعد نستطيع مُتابعة موجة الاعتداءات اليومية والتغيرات السريعة التي تحدث على الأرض على امتداد الضفة الغربية، وأصبحنا بحاجة للبحث عن طرق جديدة لتعزيز الصمود ومنع الاقتلاع والتهجير القسري.

اليوم تكاد قرية يانون تختفي عن الخارطة بعد مُصادرة أكثر من 80% من أراضيها لصالح الاحتلال ومستعمراته، وبقاء أقل من 20% من الأرض مع السكان، كما يقول الأستاذ راشد مرار، هذه المناطق المُتبقية مقسّمة مُناصفة بين مناطق (ب) ومناطق (ج)، وهي التي لا تسلم من الاعتداءات اليومية ومحاولات الضم والسرقة وعربدة المستعمرين المسلحين والمحميّين بقوة جيش الاحتلال ومؤسساته المختلفة.

ومع كل ذلك، ورغم قتامة الصورة الحالية في يانون، وألم ما يجري على الأرض إلا أن السيد راشد مُرار مختار القرية وأحد وجوه الصمود فيها، يقول: «إحنا خُلقنا من طينة يانون، وروينا ميّة من عين يانون، ولهيك لا يمكن نترك كل هذا الجمال والأصالة والتاريخ، هذا مش خيار أمامنا، نفكر فيه ونتشاور فيه، مخلوقين في هذه الأرض لنظل فيها، وبدي أورثها لأولادي مثل ما ورثتها عن أبوي وسيدي، الموضوع مش راشد كشخص، بس صدقًا راح تبقى هذه الأرض تحكي بلغتنا وتنبض من دمنا، وروحها خضرة مثل شجرة الزيتون، وعندي أمل بالأجيال الجاية». [118]

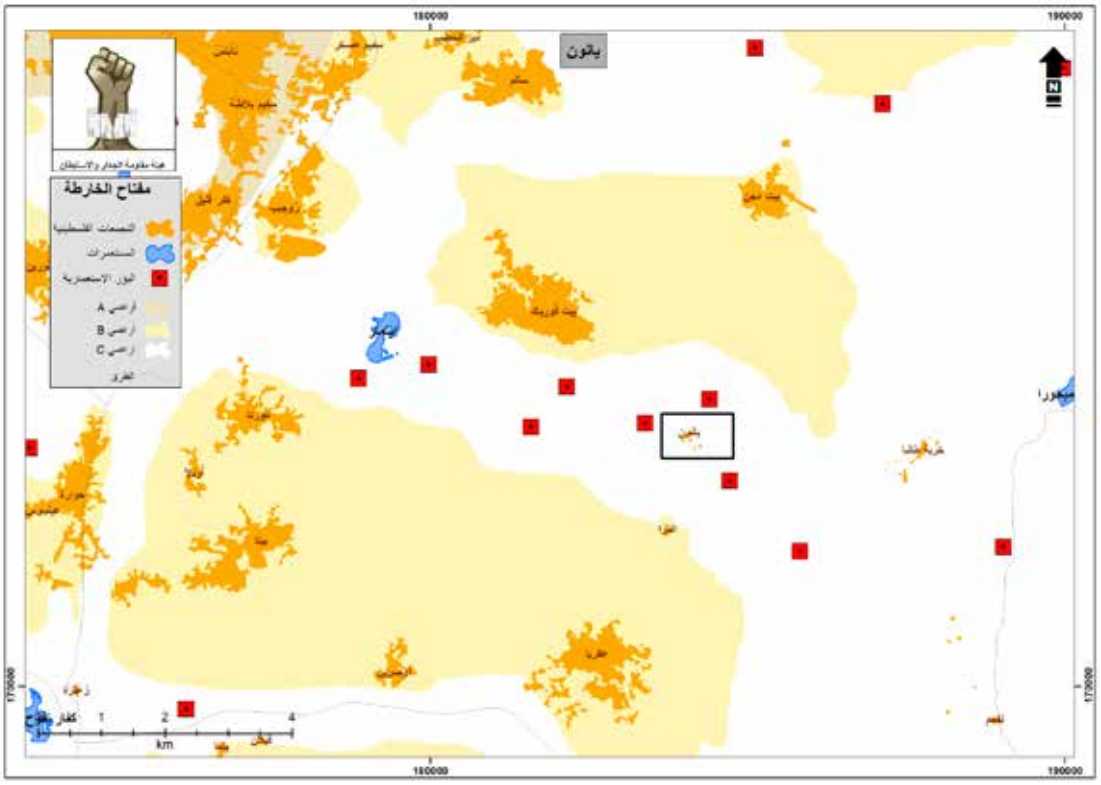

خارطة توضيحية لقرية يانون وما يحيط بها من قرى ومستوطنات _ المصدر _ هيئة مقاومة الجدار والاستيطان

118 السيد راشد فهمي مرار (مصدر سابق).

حصار وتضييق واستيلاء على الاراضي في بلدة عزون عتمة

عزّون عتمة

المقدّمة

«لا قرية بلا تاريخ ولا أرض بلا ذاكرة»
الإرث الحضاري في بلادنا غائر الجذور، فلا تكاد تقف على تلة فيها إلا وينطق شاهد التاريخ من بطنها ومن بين حجارتها المتناثرة، والمتراكمة طبقات بعضها فوق بعض، وقرية عزون عتمة أو عزون بن عتمة، إحدى قرى محافظة قلقيلية، شمال الضفة الغربية، شاهد من شواهدَ كثيرةٍ على بلاغة التاريخ وتشابه الأحوال.

لقرية عزون عتمة حكايتها القديمة وحاضرها الكبير، وفي سيرتها وجعٌ لا يتوقّف، فقد قطّع الاستعمارُ القرية وطوّقها بجدار الفصل العنصريّ، وحولها الى سجن معزول عن سياقها الطبيعيّ حتى صارت نموذجًا صارخًا لحياة الفلسطيني المحبوس في قريته، يتنفّس من بوّابة الحواجز الجاثمة على صدر القرية، تتحكم فيما يدخل ويخرجُ منها.

أولًا: حكاية القرية وتاريخها

تقع قرية عزّون عتمة على بعد 10 كم جنوب شرق مدينة قلقيلية، وترتفع حوالي 160 مترًا فوق سطح البحر، وهي قرية صغيرة أكثر أشجارها الزيتون، وتُعْتَبرُ ضمن تجمُّع سنيريا، الذي يشمل ثلاث قرى رئيسة هي: سنيريا -وهي البلدة الأمّ- وبيت أمين وعزّون عتمة. وبحسب الأهالي، فإن غالبية عائلات القرى الثلاثة تنتسب للشيخ عيسى السنيري، إذ توزّعوا وأقاموا في هذه الخِرَب لأغراض الزراعة، وليكونوا أقربَ من آبار المياه، وكان موقع القرية، قُبيلَ تجديدِ الحياة فيها من عائلات سنيريا، يُعرَفُ باسم أرضِ الشيخ حافظ، كانت القرية تتبع إداريًا لقضاء طولكرم قبل أن تصبح مدينة قلقيلية مُحافظة.[119]

يحدُّ قريةَ عزّون عتمة من الشمال قرى: بيت أمين وعزبة سلمان، وتحدها من الشرق قريةُ مسحة التي تتبعُ محافظةَ سلفيت، ومن الجنوب تحدّها قرية الزاوية (محافظة سلفيت)، وتحدّها من الغرب بلدة كفر قاسم في الأراضي المحتلة عام 1948م. وقرية عزّون عتمة غيرَ قريةِ عزّون (عزون الشامية) التي تقع على طريق نابلس- قلقيلية. فهذه عزون (القبلية) وقد أُلحِقَتْ بها كلمة (عَتْمَة) نسبة إلى قبيلة العتوم العربية التي سكنت القرية في فترات سابقة، يذكر الأهالي بأن لهذه القبيلة امتدادًا في شمال الأردن وبعض البلدات الفلسطينية. [120]

119 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد، مواليد:1960م. مقابلة بتاريخ 22\6\2023.
120 مقابلات شفوية بتاريخ 22\6\2023: السيد حسن طه حسن أحمد، مواليد: 1968م. السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد، مواليد: 1960م. السيد صلاح فوزي الشيخ، مواليد: 1975.

تقوم القرية على تلّة أثرية تُعرف باسم خربة عزون عتمة، وهي نواة القرية وأساس منشئها، وهي خربة ذات أبنية قديمة وفيها بقايا جدران مُتهدمة، يتناثر فيها فخار من حِقَب زمنية مُتفاونة تبدأ من العصر البرونزي المُتقدم مُرورًا بالحِقَب المتعاقبة انتهاءً بالفترة العثمانية،[121] وفي قمّة التلة الشماليّة تقومُ شجرة سدر مُعمرة، حَوْلَها حَويطةٌ من الحجر، يَعتَقِدُ الأهالي بأنها شجرةٌ مُقدسة لارتباطها بأحد الأولياء الصالحين، تُسَمَّى: سدرة عزون عتمة.

وبحسب مركز رواق واستنادًا إلى المسح الميداني الذي قام به المركز عام 2000، فقد تم تسجيل 11 مبنى قديمًا في القرية، غالبُها مبان منفردة متناثرة وسط القرية، ولا تزال ثمانيةٌ من المباني مستخدمة بشكل كلّي، فيما هُجِرَت ثلاثةُ مبانٍ. [122]

كما يوجد في القرية بيت يُعتقد بأنه منسوب لأحد الصُلحاء، يُعْرَفُ باسم بيت الشيخ حفيظ، وقد أقيم عليه مسجد يُعرف باسمه، وفي محيط القرية خربٌ ومناطِق أثرية كالبركة الرومانية، وخربة ابن عتمة وخربة النجّارة التي تحتوي أنقاضَ مبانٍ، وبيوتًا ومعاصرَ زيتونٍ، وصهاريجَ ومدافن، وقد روى لي بعض الأهالي عنْ مشاهدتهم و معاينتَهم لمقابرَ ومغر وأعمدة وحجارة منحوتة عثروا عليها أثناء عملهم في الأرض أو قيامهم بالحفر لأجل البناء، وهو ما ذكره أيضًا المؤرّخ الفلسطينيّ مصطفى مراد الدباغ في موسوعة بلادنا فلسطين، حيث ذكر: «وتحتوي عزون بن عتمة على جامع متهدّم، وأبنية أخرى مبنية بحجارة مربعة إلى شمال القرية، وصهاريج منقورة في الصخر، وبقايا قديمة في القرية».[123]

وبحسب روايات الأهالي فقد هُجرت القريةُ وخربت نهايةَ القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك لفترة من الزمن نتيجة حروب وصراعات محلية، ثم عاد النّشاط السكاني فيها، وتجددت الحياة في بيوتها ومزارعها وأراضيها، ولا تزال عامرة حتى اليوم.[124]

وتعتبر القرية ذات طبيعة زراعية، إذ كان اعتماد أهلها بالدرجة الأولى على الزراعة وتربية المواشي، الأمر الذي لا يزال حتى اليوم يُشكّل سِمَةَ القرية وطبيعتها، فتُزرع سهولها وتلالها بالخضار والأشجار المروية، اعتمادًا على السّقي من الآبار التي يمتلكها أهالي القرية. حيث توجد في القرية عدّة آبار مياهٍ تكفي احتياجها واحتياج القرى القريبة منها، وهذه الآبار هي: بير الشلّة، بير أبو حجلة، بير الرمانة، بير السطح، بير المروج. وكان الاحتلال

121 كل أثر ومكان في فلسطين، ترجمة ومطالعة عيد حجاج، الجامعة الأردنية - عمان 1990 ، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، صفحة: 597.

122 سجل رواق للمواقع التاريخية 2000، قرية عزون عتمة، من موقع: https://2u.pw/CschgQ3 RIWAJ.org

123 موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى - كفر قرع 1991، القسم الثاني، الجزء الثاني ، الصفحة 556- 555.

124 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق)

قد مَنع الأهالي بعد العام 1967م من حفر بعض الآبار التي سَبق وحصلوا على تصاريح لحفرها، ومنها آبار: مروج سنيريا، خلة المصّاية، تل الدوير.[125]

بلغ عدد سكان قرية عزون عتمة حسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت 2017) نحو: 2068 نسمة،[126] ويتولى شؤون القرية حاليًا مجلسٌ قروي مُنتَخَب، يتابع خدمات البُنى التحتية كالكهرباء والماء، إذ تمتلك القرية شبكة كهرباء جيدة بدأ العمل بها منذ العام 1996م، أما شبكة المياه في القرية والتي بدأ العمل بها عام 1986م وباشرت عملها رسميًا في العام 1993، فإن المجلس يديرها ويعمل على تطويرها بشكل دائم مُستفيدًا من الآبار المحلية التي يمتلكها الأهالي، كما يُشرف المجلس على مدارس القرية واحتياجاتها، ويقوم بترتيب ما يلزم الأهالي اجتماعيًا وصحيًا، حيث توجد في القرية عيادة حكومية واحدة، يتولى المجلس بدرجة أولى متابعة قضايا الأرض ومقاومة أضرار الجدار، وإخطارات المصادرة والهدم التي تتعرض لها القرية بفعل سياسة الاحتلال.[127]

ثانيًا: أثر الاحتلال وسياساته على القرية

يشير الباحث أ. ممدوح غالب بري إلى أنَّ: «دولة الاحتلال قامت بعزل سنيريا وأهلها في العام 1948م عن جزء من أراضيهم الزراعية وآبارهم الجوفية في السهل الساحلي، وذلك حين ضمَّتْ جزءًا من أراضيهم داخل حدود الدولة الاستعمارية، ولأجل ذلك سارع الأهالي -من عائلات تجمُّع سنيريا الثلاثة في فترة ضم الضفة الغربية للأردن- بالتقدم بطلب لحفر آبار مياه في المنطقة الغربية من القرية، على الحدود مع (الخط الأخضر) وهو ما شجع الأهالي، لاحقًا، على الاستقرار في هذه المناطق وإعادة إعمارها وزراعتها بشكل مُكَثّف».[128]

وبهذا تكون الحدود الاستعمارية لدولة الاحتلال قد غيّرت خارطة الجغرافيا والحدود لأهالي هذه المنطقة، مُقلّلةً من مساحة الأرض الزراعية التي يمتلكونها. وقَطّعت التواصل الطبيعي بينها وبين البلدات الفلسطينية المحتلة، كبلدات: كفر قاسم وأم الفحم وكفر برا، وصولًا لمدينة يافا ومدن الساحل الفلسطيني المحتل، والتي شكلت وجهتهم وامتدادهم الطبيعي تاريخيًا.

125 المصدر السابق
126 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018 (التعداد العام للسكان والمنشآت 2017: ملخص النتائج النهائية للتعداد، رام الله - فلسطين.
127 السيد عائد عبد اللطيف علي أبو حجلة، مواليد: 1972م، رئيس المجلس القروي. مقابلة بتاريخ 22\6\2023.
128 الباحث والكاتب ممدوح غالب أحمد بري ، مواليد: 1982. مقابلة بتاريخ 29\7\2023.

وقد لعب التهجير القسري للفلسطينين عام 1948 وإخراجهم من قراهم، ثم سياسة دولة الاحتلال تجاه القرى الفلسطينية الحدودية دورًا مُهمًّا في تغيير تركيبة وبنية العائلات، فهاجر قسمٌ من الأهالي تاركًا هذه القرى، ووفد آخرون إليها. ومما يذكره الأهالي أن بعض عائلات مدينة اللد نزلت في منطقة عزون عتمة، مثل عائلة الشّلة، الذين اشتروا قرابة 100 دونم من الأرض، وحفروا بئر ماءٍ بالشراكة مع آخرين لتغذية المزارع التي أنشأوها، في منتصف خمسينيّات القرن الماضي.[129]

غَير أنّ التحول الحقيقي والأثر الكبير على قرية عزون عتمة كان بعد احتلال الضفة الغربية عام 1967م، حيثُ طالتِ القرية وجوارَها أضرارٌ كبيرة نتيجة سياسات دولة الاحتلال القائمة على الإفراط في استخدام القوة ومصادرة الأراضي لصالح الاستيطان الاستعماري، والتضييق على الفلسطينيين وتقييد حُرية الحركة والتنقل ومنع استغلال الأرض.

وحتى لحظة كتابة هذه المادّة فإن سياسة الاحتلال مُتواصلة في خنق قرية عزون عتمة، بقيود الحركة عبر الحواجز والبوابات، وضبط أحقيّة الأهالي في التصرف في ثُلثي ما بقي لهم من أرض تحت حجج وذرائع أخطرها أنها مناطق (ج). فتحوّلت القرية لما يُشبه (الغيتو) المُغلق بالجدار والسياج إذ يتم من خلاله التحكم بالدخول والخروج من وإلى القرية.

والأمر الذي يؤكد عليه المحامي وائل قط من مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان أنّ: «قرية عزون عتمة مثال واضح للتشابك القانوني وسياسات انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة من قبل حكومات الاحتلال، التي أخضعت الأرض للسيادة الاستعمارية من خلال جدار الفصل العنصري، وسياج الأسلاك الشائكة والبوابات وكاميرات المراقبة، وكذلك تكثيف الاستيطان الاستعماري بالقرب من منازل الأهالي في القرية، الأمر الذي يتجاوز البُعد الأمني الّذي يدّعيه جيش الاحتلال وينفيه الواقع، فالبوّابات ونظام التصاريح وتحديات الدخول للأرض والتمييز في المزايا والخدمات العامة بين الفلسطينيين والمُستعمرين تشير لسياسات الفصل العنصري المُرعبة التي تنفي البُعد الأمني للجدار، وتتخطى آثار الجدار والسياسات الاستعمارية الأبعاد السياسية والجيوسياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية للقرية ومحيطها».[130]

129 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
130 الأستاذ وائل عبد الرحيم قط، محامي ومستشار قانوني في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 3\9\2023.

حين يسرد الأهالي حكاية العذاب اليومي مع الاحتلال وسلسلة التضييقات التي عانوها تبرز عدة عناوين رئيسة، تشكل حتى اليوم وجعًا مستمرًا وجرحًا لا يتوقف عن النزف بفعل سياسات الاحتلال، ولعل أهم وجوه المعاناة من وجهة نظر الأهالي في عزون عتمة تمثّلت في:

1. شقّ الطرق الاستعمارية:

لعل أكبر نموذج لأثر الطرق الاستعمارية على قرية عزون عتمة هو الشارع المرقّم بـ (505)، وتسميته الاستعمارية (عابر السامرة)، وقد بدأ الاحتلال العمل على تنفيذه عام 1981م، بدءًا من بلدة كفر قاسم في الأراضي المحتلة عام 1948م ليمضي شرقًا حتى قرية فصايل في الأغوار الفلسطينية.[131]

وقد قسَمَ هذا الشارع الضفة الغربية إلى قسمين (شمال/ جنوب) وفصل التجمّعات الفلسطينية، وقطّع التواصل الجغرافي الطبيعي بينها، مُسهِمًا مع الشوارع الاستعمارية الأخرى في خلق تجمُّعات فلسطينيّة مُحاصَرة، لا يمكن أن تلتقي جغرافيًا في الامتداد؛ لوجود الطرقات التي تحدُّ من توسّعها وتسهّل عملية السيطرة عليها.

وفي حالة عزون عتمة فقد عمل الشارع على انتزاع حَيٍّ كامل وسلخِه عن القرية، عرف باسم (حَي القارمة)، إضافة إلى مئاتَ الدونمات الزراعية المحيطة به، تلك الأراضي التي مُنع الأهالي من الوصول إليها إلا عبر بوابات وفتحات مُخصصة من خلال الجدار الشائك المقام على طول حدود القرية مع الشارع الجديد.[132]

ولمّا أقيمت المعابر والحواجز الرسمية على طول هذا الشارع الاستعماري في الجهة المقابلة لقرية عزون عتمة، صار على الأهالي قاطني البيوت جنوب القرية (أي خلف الشارع) الحصول على إذن للدخول إلى بيوتهم ومزارعهم، وتضاعفت المعاناة وصار التنقل من وإلى الأراضي الزراعية تَحدّيًا يوميًّا يفرضه الاحتلال.[133]

131 شكل هذا الشارع نقطة تحول في تمدد الاستعمار الصهيوني في الضفة الغربية، حيث قام بربط مستعمرات الأغوار مع الأراضي المحتلة عام 1948 بخط سريع، وفي الآونة الأخيرة يُكثف غلاة الاستعمار من محاولات السيطرة على التلال المشرفة على هذا الطريق كما في جبل صبيح- بيتا، وتل منفش - جوريش.
132 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
133 السيد عائد عبد اللطيف علي أبو حجلة (مصدر سابق)

عمل الاحتلال من خلال هذا الشارع الاستعماري على إعادة هندسة مدخل القرية وضبطه وفق رؤيته، وأصبح مدخل القرية الرئيسيّ على الشارع من جهة الجنوب، الأمر الذي دفع الأهالي لمحاولة تقليل أثر الشارع على حياتهم، فسارعوا لإقامة منشآت ومشاغل وورشات على جانب الطريق من جهة أراضيهم التي فصلها الشارع عن القرية، وقد شَكّلت هذه المنشآت التي بلغ عددها 24 مشغلاً وورشة مصدر دَخل لهم، إذ كانوا يبيعون مُنتجاتهم وبضاعتهم لأهالي المدن والبلدات العربيّة داخل الخط الأخضر، واستمر الأمر حتى العام 2000م، إذ قامت دولة الاحتلال بنقل مسار الشارع وتغييره نحو تفرُّعه الجديد جنوبًا والذي حمل الرقم (5)، وبذا تَمَّ إقفال مدخل القرية الجنوبي، وصار مدخلها من جهة الشمال، واضطر أصحاب هذه المشاغل لإغلاقها.[134]

ثمّ اكتملت الجريمة حين قطع الاحتلال التواصل بين عزون عتمة والقرى الفلسطينية الواقعة إلى الجنوب منها، فأقيم جدار يفصل القرية عن الشارع الجديد والقرى الفلسطينية في محيطه، وصار على أهالي عزون عتمة الالتفاف شمالًا نحو طريق قلقيلية - نابلس ليصلوا إلى هذه القرى في مسافة تحتاج ما يقربُ ساعة من الزمن في الحد الأدنى بدلًا من خمس دقائق.[135]

2. المُستعمرات الصهيونية:

عانت قرية عزون عتمة من نتائج سياسات حكومات الاحتلال بمصادرة الأراضي لصالح إقامة مُستعمرات على طرفيها الغربي والشرقي، وذلك في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، الأمر الذي انعكس على حياة الأهالي، وعلى حدود ملكيتهم وطريقة حياتهم.

كانت البداية الأولى للاستعمار في قريتي عزون عتمة وبيت أمين في منتصف السبعينات حين أقيمت مستعمرة (إلكانا) عام 1977 على أراضي الزاوية ومسحة وعزون عتمة وبيت أمين و سنيريا، وموقعها جنوب شرق قرية عزون عتمة، على تلّة كان عليها معسكر للجيش الأردني، وقد توسعت مع الوقت لتصادر 1150 دونماً من الأرض.

ثم كانت الخطوة الاستعمارية الثانية في ثمانينيّات القرن الماضي، حين بدأ الاحتلال بالترتيب لإقامة نواة مُستعمرة (شعاري تكفا) في الأرض المعروفة باسم (حَريقة الحج رشيد) عام 1981م، وما هي إلا سنتان حتى كانت المُستعمرة قد أقيمت بشكل رسمي، مُصادِرَةً أرض الفلاحين في مناطق: خلّة عامر، المُعلقة، صفحة الشوك، قرينة المدابس، شقيف البركة، خلّة

134 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
135 السيد حسن طه حسن أحمد، مواليد: 1968م، مقابلة بتاريخ: 22/6/2023.

حماد، البسوم، لتتحول المستعمرة مع الوقت لجحيم مَسعور، فهي تمتد وتبتلع الأرض، وتخنق الفلسطينيين وتحدّ من امتدادهم نحو جوارهم.[136]

كانت المفارقة في تأسيس هذه المستعمرة أنّ معنى اسمها صهيونيًا هو: (بوّابة الأمل) فالأمل الاستعماري لا يكون إلا على حساب سرقة وسلب وقتل الفلسطينيين أصحابِ الأرض.

حين تنظر إلى المستعمرة اليوم تُصيبك الدّهشة من طريقة تمددها المُلتوية على جانب القرية الفلسطينية، وكأن توسُّعها لا يتحقق إلّا بحصار وتطويق البيوت العربية، وبهذه الطريقة ابتلعت المستعمرة الأراضي الزراعية والتلال الخصبة بأريحية، ذلك أنّ هناك قُوةً عَسكرية تحميها، وتمهّدُ لها الطّريق نحو ابتلاع مَزيدٍ مِن الأراضي الفلسطينية.

بَعدَ مُستعمرة (شعاري تكفا) أقيمت مُستعمرة (أورانيت) إلى الغرب الجنوبي من عزون عتمة، على أراضي القرية وأراضي قرى: عِزبة سلمان، بيت أمين، وخربة الأشقر، وذلك في العام 1983م، وقد كان الوقت كفيلًا لتتحوّل هذه المُستعمرة لمدينة استيطانيّة تمتدُّ بشكلٍ طوليّ كحاجزٍ استعماري يفصلُ هذه القُرى عن القُرى والبلدات الفلسطينيَّة المُحتلة عامَ 1948م.[137]

لقدِ شكّلت المُستعمرات الصهيونية لأهالي قرية عزون عتمة هاجسًا يوميًّا، حين طُوِّقَتِ القرية وحُدَّتْ مساحتُها، وصودرت نصف أراضيها، ولم يبقَ لها مَنفذٌ مفتوح سوى من جهة الشمال، حيث طريقها ومخرجها نحو القرى والبلدات الفلسطينية المُحيطة بها.[138]

3. جدار الفصل العنصري:

تعتبرِ سياسة عزل وإغلاق التجمّعاتِ الفلسطينيّة وفصلها عن محيطها واحدةً من أبشع السياسات الاستعمارية التي انتهجتها دولة الاحتلال، وقد بدأ تنفيذ هذه السياسة في وقت مبكر كُسِمَةٍ واضحة في المشروع الصهيوني. [139]

136 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين (1870-2012) ترجمة وإعداد علي نجم الدين، الطبعة الأولى 2014، الصفحة 292 + الصفحة 334. السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
137 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين (مصدر سابق) صفحة 341.
138 السيد عائد عبد اللطيف علي أبو حجلة (مصدر سابق)
139 استخدمت دولة الاحتلال هذه السياسة في المدن الفلسطينية التي احتلت عام 1948 كمدينة حيفا واللد مثلًا، حيث تم حبس الفلسطينيين الذين بقوا في مدينتهم داخل مناطق مُحاطة بأسلاك شائكة، ويتم ضبط الدخول والخروج من هذه المناطق المعزولة عبر بوابات، ولاحقًا مارست دولة الاحتلال هذه السياسة في تطويق وعزل كل مدن وقرى الضفة الغربية.

يروي الأستاذُ عبد الكريم أيوب أحد النشطاء والفاعلين في القرية، بألمٍ، حكاية قريته مع الجدار، الذي سَلبهم معنى الحياة، كما يقول، وصادر خلفه 3000 دونم: «في العام 2002؛ بدأ الاحتلال في بناء جدار الفصل العنصري والذي كان على خمس مراحل، بدأوا من المدخل الغربي للقرية بمحاذاة الطريق الالتفافي المرقم بـ(505)، وصولًا لمستعمرة «شعاري تكفا» شرقًا، واكتمل العمل بالجدار عام 2015م، وعملوا أربع «بوابات» زراعية على جهات الجدار الأربعة، وهذه البوابات صارت تفتح من 20 إلى 25 دقيقة ثلاث مرات يوميًا، وأي شخص له أرض خلف الجدار فإنه يحتاج تصريحًا خاصًا لعبور أرضه، وطبعًا قضيّة التصاريح والموافقة الأمنية حكاية لها أوّل وليس لها آخر، ولأجل إقامة الجدار تم تجريف الأراضي الزراعية وتخريبها، وتم اقتلاع أشجار الزيتون».[140]

إن قضية التصاريح التي أشار إليها الأستاذ عبد الكريم أيوب باعتبارها «حكاية ليس لها نهاية»، هي إحدى الأساليب الممنهجة التي يتّبعها الاحتلال في مُصادرة الأراضي الفلسطينية الواقعة خلف الجدار، لدفع الناس لهجر الأرض وإهمالها، بدءًا من تحديد مَوسِمي عَمَلٍ في الأرض: وَقتُ حِراثتها وموعِدُ قطف ثمار شَجرها، ومُدّةِ التصريح وتاريخَ سَريانه، ووقتِ الانتظار للحصولِ عليه، وَمَن مِنْ أفراد العائلة يمتلك تصريحًا يسمح له بالعبور للأرض، إضافةً إلى ساعات فتح البوابات وإغلاقها، وفوق ذلك كلّه طابور الانتظار لأجل التفتيش، والتضييق اليومي ومنع إدخال أيّ معدات أو أدوات زراعية عبر بوابة الجدار، حتى وإن كانت فأسًا أو مجرفة.

سارعَ الاحتلال، على طول جدار الفصل العنصري الذي يُطَوّق القرية، إلى وضع أبراجٍ عسكرية وكاميرات مُراقبة، ويُسارع طوال الوقت لإغلاق أيّة فتحة في الجدار السلكي الشائك، تلك الفتحات التي يقوم العمّال وأصحاب الأراضي الزراعية بفتحها لأجل تسهيل وصولهم لأراضيهم.[141]

لعب جدار الفصل العنصري دورًا كبيرًا في تخريب كل مظاهر الحياة البيئية لقرية ريفية كانت تعيش وسط امتدادها الطبيعي والجغرافي، الأمر الذي أفقدها كثيرًا من تنوّعها الحيويّ والنباتي، وانعكسَ كذلك على مُكونات الحياة البرية فيها، وهو، أيّ جدار الفصل العنصريّ، تخريبٌ خطير للتنوع الطبيعي في تلك المنطقة، كما امتدّ أثرُ الجدار الفاصل على طريقة تصريف مياه الأمطار الجارية، فأصبحت الجُغرافيا المُحاصرة لقرية عزون عتمة كالسجن المضبوط استعماريًا بشكل جيد، والذي يُسهم بتخريب كل ما هو فلسطيني وعلى كُلِّ المستويات.[142]

140 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
141 السيد راسم محمد أحمد، مواليد 1976م. مقابلة بتاريخ 22/6/2023.
142 السيد عماد فؤاد الأطرش، مواليد 1958، مدير جمعية الحياة البرية في فلسطين، مقابلة بتاريخ 3\8\2023.

جدار الفصل العنصري في بلدة عزون عتمة

4. الحواجز والبوابات:

عامَ 2015م، توَّجَ الاحتلال جهوده في خنق قرية عزون عتمة بعد استكمال بناء جدار الفصل العنصري، فأقامَ حاجزًا عسكريًّا على المدخل الشماليّ للقرية، وصار جيش الاحتلال يمنع الدخول والخروج من القرية إلا بـ»تصريح»، أو من تشير بطاقة هويته بأن محلّ إقامته: عزون عتمة، وبذا أصبحتِ القرية مدخلًا بلا مخرج، ولأجل ذلك سارع كثيرون من سكان القُرى المجاورة لتغيير محلّ إقامتهم ليصبح عزون عتمة، فيتمكنون بذلك من الوصول لأراضيهم ومزارعهم داخل حاجز القرية.[143]

في البدء كانت مُعاناة عزون عتمة مع حاجز جيش الاحتلال المُقام في الجزء الجنوبي من القرية، على جانب شارع (505)، هذا الحاجز الذي عزل أحد الأحياء إضافة إلى مئات الدونمات عن القرية، وصار الوصول لهذا الحي ضمن الأوقات المسموح بها، قبل أن يتمكن الأهالي من الضغط لفتحه لأوقات أطول، ومع اكتمال بناء الجدار أصبحت القرية مخنوقة بفعل حاجز جيش الاحتلال الذي أقيم على المدخل الشمالي للقرية، والذي قطع تواصل عزون عتمة بالكامل مع محيطها الفلسطيني.[144]

ومما يرويه الأهالي عن معاناتهم مع حاجزي جيش الاحتلال جنوب وشمال القرية، السياسة المُرعبة في تحديد أوقات العبور نحو القرية، وتقييد من يُسمح له بالمرور عبر الحاجز. فمثلًا كان الحاجز الجنوبي يفتح أبوابه ثلاث مراتٍ يوميًا فقط، ولا يتم فتحه بعد الساعة العاشرة ليلًا، مهما كانت الأسباب، وقد بدأت رحلة من المعاناة لأصحاب تلك البيوت والمزارع أو للمستفيدين من أحد آبار المياه جنوب القرية.[145]

وبحسب شهادة الناشط ضد الاستيطان في القرية حسن طه أحمد: «كانت مواتير بئر الماء تعمل بالسولار، وكان الاحتلال يجبرنا على التوقف عن العمل بها لأكثر من 12 ساعة أحيانًا، إلى حين فتح البوابة والسماح بإدخال السولار، وحدثت حالة وفاة على الحاجز لمزارع انقلب به جرار زراعي (تركتور) فرفض الجنود السماح بنقله إلى المستشفى لأن الوقت تجاوز العاشرة ليلًا، كما أنّ إحدى النساء أنجبت طفلها داخل البيت لأن الاحتلال منع خروجها من الحاجز، وطالبها بالانتظار حتى صباح اليوم التالي».[146]

143 السيد حسن طه حسن أحمد (مصدر سابق)
144 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
145 السيد فراس أحمد حسني يونس، مواليد 1984. مقابلة بتاريخ 22\6\2023
146 السيد حسن طه حسن أحمد (مصدر سابق)

ومع إقامة الحاجز على مدخل قرية عزون عتمة الشمالي، تحولت المعاناة من موقع إلى آخر، مع تكثيف جيش الاحتلال لإجراءاته وتعقيداته المرعبة على الحاجز، وبحسب شهادة الناشط في القرية، الذي كان شاهدًا على تلك الفترة، السيد عبد الكريم أيوب أحمد:

«استخدم جيش الاحتلال القوة المُفرطة لفرض قرارات ظالمة على أهالي القرية، كمنع الدخول والخروج إلا ضمن الأوقات المحددة، وأنه لا يسمح لأحد من خارج القرية بالدخول إليها إلا إذا كان يحمل تصريحًا، وسجلتُ بنفسي عشرات حالات احتجاز الناس لساعات طويلة، وفي كثير من الأوقات أطلقت الأعيرة النارية وقنابل الغاز والصوت تجاههم، وتحول الحاجز لبوابة موتٍ وإذلال يوميّ، وصار يُجبَرُ الأهالي الذين وصلوا متأخّرين إلى القرية على أن يبيتوا عند الحاجز أو يتوجهوا نحو أقربائهم ومعارفهم في القرى المجاورة حتّى تُفتح بوابة الحاجز صباح اليوم التالي، وفي كثير من الأوقات كان يتدخّل المجلس ويحضر إلى الحاجز تجنُّبًا لوقوع مجزرة أو مصيبة من قبل جيش الاحتلال».[147]

ويضيف السيد عبد الكريم أيوب أحمد: «تغير شكل المشاركة المجتمعية لأهالي القرية في الأفراح والأتراح والمناسبات والأعياد داخل القرية وخارجها، وكان على الجميع مراعاة شروط الدخول والخروج من القرية، وفي حال وجود مناسبة وفيها مدعوّون أو مشاركون من خارج القرية فعلى المجلس وضع الأسماء على الحاجز، وفي بعض المناسبات كان على والد العريس أو شقيقه أن يقف على الحاجز لإدخال المعازيم والتعرف عليهم، وفي إحدى المرات سمح جيش الاحتلال للعروس بدخول الحاجز ومنَعَ أهلها من الدخول معها، لأنهم ليسوا من أهالي عزون عتمة.[148]

ومن وجوه المعاناة على الحاجز ما كان يتعرض له المعلمون والطلبة يوميًا أثناء توجههم لمدرسة القرية، فكان يتم إيقافهم للتفتيش الدقيق في طابور مهين، بطريقة استفزازية، وغالبًا ما كانوا يُمْنَعون من عبور الحاجز، وتجنبًا لتعطّل العمليّة التعليميّة؛ كان على المجلس القروي أن يجهز كشفًا بأسماء المعلمين المعتمدين من قبل التربية والتعليم، على أن يكون الكشف باللغات الثلاثة: العربيّة، والإنجليزيّة، والعبريّة، ومن خلاله يقوم جنود الاحتلال بفحص الأسماء ومن يحق لهم الدخول إلى القرية، وعند أي نقل أو تغيير أو إضافةٍ لأي معلم، ستكون هناك إجراءات وسجل جديد يقدم للموافقة عليه.[149]

147 السيد عبد الكريم أيوب يوسف أحمد (مصدر سابق).
148 المصدر السابق.
149 المصدر السابق

أما بخصوص إدخال البضائع والمنتجات ومواد البناء واللوازم للقرية، فتلك حكاية يطول الحديث عنها وعن الإجراءات الخاصة بها، والتي تحتاج لتنسيق وتفتيش دقيق وانتظار لساعات، ولكثير من الإجراءات المتعبة للأهالي والتجار، وغالبًا كان على المجلس القروي أن يتولى مهمة التنسيق والترتيب لها.

يروي عضو المجلس البلدي صلاح الشيخ حكايةً عن وجهٍ من وجوه تلك المعاناة بقوله: «كان على المزارعين وتجار الخضار من أهالي القرية المغادرة عند الساعة العاشرة ليلًا في موعد فتح البوابة الأخير، ثم يبيتون في سياراتهم خارج القرية ومعهم الخضار والمنتجات الزراعية، ليتمكنوا فجرًا من التحرك نحو أسواق الخضار في بيتا- نابلس، ومن يفوته الوقت عليه الانتظار لصباح اليوم التالي وساعتها لن يتمكن من بيع الخضار في الأسواق لأنه سيصل متأخرًا للحسبة».[150]

جدار الفصل العنصري في بلدة عزون عتمة

150 السيد صلاح فوزي الشيخ، مواليد: 1975. مقابلة بتاريخ 22\6\2023.

5. الهدم والتجريف ومنع تطوير القرية:

يشير رئيس المجلس القروي في عزون عتمة الأستاذ عايد أبو حجلة بأن المجلس **يتابع حاليًا 28 إخطارًا سيّلمها** الاحتلال لأهالي القرية، وتشمل أبنية ومنشآتٍ وأسوارًا بحجّة أنها أُقيمَتْ ضمن مناطق (ج)، ويقول: «هذه السياسة تأتي استكمالًا لسياسات الاحتلال في الهدم والتجريف التي لم تتوقف منذ سنوات، فقد هُدِمتْ وجُرِّفَتْ عشرات البيوت والمنشآت، بالإضافة إلى منع التوسع والتطور العمراني في القرية نحو أطرافها، في الوقت الذي تتمدد المستوطنة بأريحيّة شديدة على جانبي القرية الشرقي والشمالي». [151]

وبحسب المحامي في مركز القدس أ. وائل القط: «مخططات التوسعة الهيكلية للقرى الفلسطينية محدودة المساحة، والاحتلال لا يوافق على المصادقة على أيّة مُخططات تتعلق بالمناطق المصنّفة (ج) في غالب مناطق الضفة الغربية، وفوق ذلك فإنّه يُسلّم إخطارات وقف العمل/ البناء، أو إزالة لأي مبنى أو إضافة في هذه المناطق بحجة عدم حصولها على إذن/ تصريح، وهذه الإجراءات تمس الحق بالسكن، وهي منحازة وظالمة، ويتم صياغتها وفق تركيبة قوانين وقرارات يصوغها الاحتلال لتكون موجهة ضد الفلسطينيين فقط». [152]

وكانت سلطات الاحتلال قد فرضت قيودًا شديدةً على القرية، فيما يخص المناطق (ج) ومنعت استكمال مشاريع مهمة كمدرسة القرية، التي شهدت فصلًا مُرعبًا من الاعتداءات خلال السنوات السابقة، فالمدرسة التي أقيمت عام 1966م لتخدم عدّة قرى، فقدت جزءًا من أراضيها لصالح الاستيطان، ثم ابتلع الجدار من أرضها مساحة دونمٍ ونصف، حيث أقيم في ساحتها الخلفية على ارتفاع 8 أمتار، وطوال السنوات الماضية منع الاحتلال بناء طوابق إضافية أو مرافق صحية في المدرسة، باعتبار تصنيفها منطقة (ج)، وكانت عمليات البناء تُلاحَقُ بإخطارات وقف البناء والإزالة، وبين الفينة والأخرى يدفع جيش الاحتلال بجنوده لاقتحام المدرسة واستفزاز الطلبة أثناء الطابور الصباحي، وأحيانًا يتم إطار الطلبة بقنابل الغاز المسيل للدموع.

151 السيد عائد عبد اللطيف علي أبو حجلة (مصدر سابق)
152 الاستاذ وائل عبد الرحيم قط (مصدر سابق)

ويذكر الناشط في القرية حسن طه أحمد، جملة من الاعتداءات على المدرسة وطلبتها ومعلميها، الأمر الذي دفع بعض الأهالي والمجلس للتواجد في المدرسة بشكل يومي، وذكر، بألم، تفاصيل مثيرة من تلك الاعتداءات:

«ذات مرة، اقتحم الجيش المدرسة لرغبة جنود الاحتلال في إنزال العلم الفلسطيني عن السارية، ومرة احتجوا على صوت الأذان في القرية فقرروا إقامة حفلة يومية في المستوطنة فوق المدرسة وتشغيل الأغاني بصوت مرتفع، وبث التسجيلات التي تشتم العرب وتسبّهم، وذلك خلال فترة تواجد الطلاب في المدرسة، واستمر الأمر مدة 21 يومًا، وكان المجلس القرويّ وأولياء الأمور وبعض المختصين يحضرون بشكل يومي للمدرسة لخلق حالة دعم نفسي للطلبة، وتشجيعهم على البقاء، وتحمل الإزعاج، منعًا لحدوث تسرُّب من المدارس، ولأجل تقليل الأثر النفسي على الطلاب، وكاد التعليم أن يتعطل لولا إصرار الأهالي على إبقاء المدرسة مفتوحة، رغم استحالة التعليم في الصفوف المدرسية، والقصة لم تتوقف إلا بعد تدخلات دولية ومحلية».[153]

ثالثًا: البقاء والتشبث بالأرض:

على الرغم من شمولية الهجمة الاستعمارية على الفلسطينيين، ووضوح سياسات المصادرة والسلب التي تتبعها سلطات الاحتلال، وتتابع أوامر وضع اليد وقرارات المصادرة العسكرية، وفق تكامل للأدوار بين منظومات ومؤسسات دولة الاحتلال الهادفة، في المحصلة، لإخراج الفلسطيني من أرضه ثم تسهيل سيطرة المستعمرين عليها، إلا أن نموذج النضال الشعبي والتعاضد المجتمعي في قرية عزون عتمة جعل هناك قوة حقيقية قادرة على الصمود والبقاء، فبذلَ المجتمعُ دوره واستخدم السُبل المتاحة للتقليل من الآثار المُرعبة والظالمة لخطط ومشاريع الدولة الاستعمارية لسلبهم أرضهم وحبسهم داخل سجن كبير.

لقد نجحت إرادة النضال الجماعي في إبعاد الجدار وإنقاذ جزء من ساحة المدرسة الخلفية على سبيل المثال، وخلقت المواجهة إصرارًا على الزراعة والدخول عبر البوابات رغم تعقيد إجراءات الحصول على التصاريح، إذ سارع الأهالي بعد عام 2015 لاستغلال الأراضي الواقعة جنوب وجنوب شرق القرية على جانبي الشارع الذي تم إغلاقه، فتحوّلت هذه الأراضي لبيارات ومنشآت زراعية، واستقبلت القرية مئات الوفود المتضامنة والإعلامية، وكثّفت من جهودها في خلق رأي عام عالمي يسهم في الضغط والمناصرة لحماية الفلسطينيين من البطش الاستعماري.

153 السيد حسن طه حسن أحمد (مصدر سابق)

تكفي زيارة عادية لقرية عزون عتمة، وجولة في مزارعها، لتجعلك تُدرك بأن هناك روحًا تنبعث من الأرض وناسها، روحٌ صلبة تنبت قوةً وجمالاً، وتعطي للحياة لونًا ومعنى، فرغم كل الأسى والألم والمعاناة التي صنعها الاحتلال وكثّفها في قرية عزون عتمة إلا أن روح الحياة تُشرق من إرادة أهالي القرية وإصرارهم الدائم على العطاء والتجديد، والحفاظ على الهوية، فالقرية لا تزال تنتج وتزرع وتبدع وتشق طريقها نحو تعزيز السيادة وحماية الحق والتشبّث به.

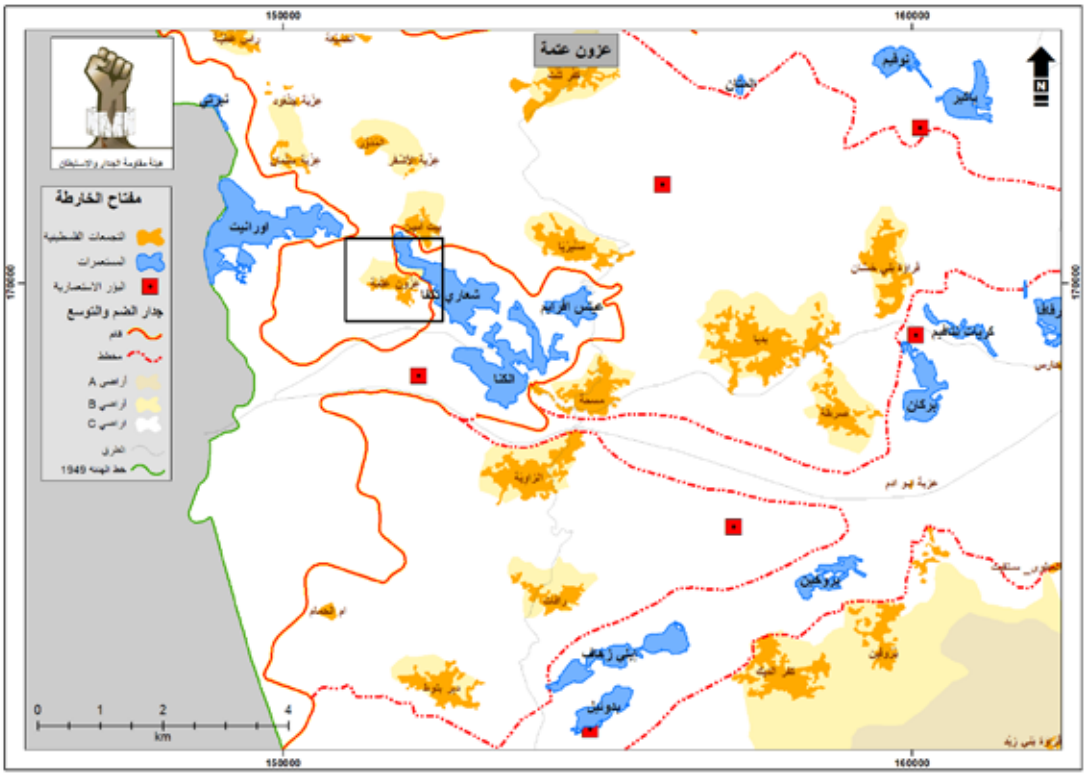

خارطة توضيحية لبلدة عزون عتمة ومايحيط بها من قرى ومستعمرات _ المصدر _ هيئة مقاومة الجدار والاستيطان

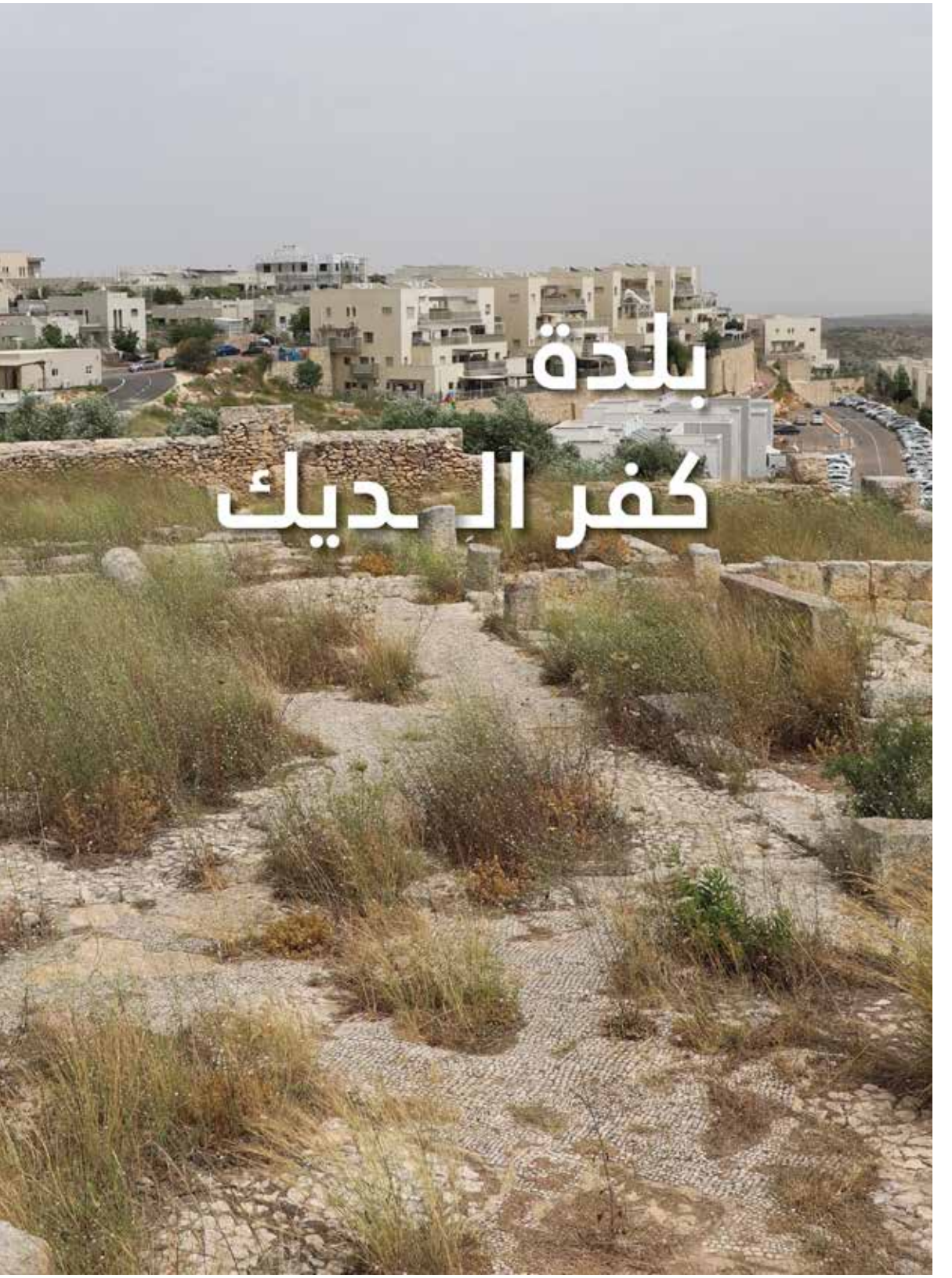

ليشم احدى المستعمرات المحيطة في منطقة دير سمعان _ كفر الديك بنيت عام 2013

بلدة كفر الديك

مقدمة:

تشير الوقائع على الأرض بأن دولة الاحتلال كثّفت في السنوات الأخيرة من مشاريعها الاستعمارية في الضفة الغربية عمومًا، وكان النصيب الأكبر من وتيرة التصعيد الصهيونيّ ضد الفلسطينيّ خلال عام 2023 الجاري، وشجره وحجره لمحافظة سلفيت، ذلك أن دولة الاحتلال جادّة في فرض وقائع جديدة على الأرض، قوامها التمدد والتوسع الاستعماري، وإنشاء بؤر و وحدات استيطانية جديدة، ومصادرة أكبر قدر ممكن من الأرض الفلسطينية، لأجل تثبيت الوجود الاستعماري الصهيوني، وإنهاء فكرة الدولة الفلسطينية للأبد.

وعلى الرغم من ثقل السياسات والإجراءات الاستعمارية للسيطرة على الفلسطينيين وأرضهم، وطردهم منها، إلا أنهم لا يزالون يتشبثون بالحق ويصرون على البقاء في وطنهم مهما كلّفهم الأمر من ثمن، ولأجل ذلك يخوضون نضالًا مفتوحاً على كل الجبهات، و يواصلون معاركهم وأرجلهم على أرضهم التي رويت بعرق الفِلاحة ودم التضحيات. ويُصرُّ صغيرهم قبل كبيرهم على عدم التفريط بشبرٍ واحد من إرث الآباء والأجداد، والنضال لحرية الأرض التي سيحملون النسبَ إليها جيلًا بعد جيل.

أولا: كفر الديك.. الحياة النابضة

إلى الغرب من مدينة سلفيت، وعلى بُعد 18 كم تقع بلدة كفر الديك، ذات الطبيعة الجبلية المشرفة على ما حولها، وتبلغ مساحة أراضيها 17000 دونم[154]، ويحيط بها عددٌ من البلدات والقرى الفلسطينية، من الشرق قرية بروقين، ومن الغرب قرى رافات ودير بلوط، ومن الشمال قرى بديا و سرطة، ومن الجنوب بني زيد الغربية (محافظة رام الله والبيرة)، وبحسب المؤرخ الفلسطيني مصطفى الدّباغ فإن البلدة كانت تُعرف فيما مضى باسم: (الكفرين) أو (كفير بن مهنا)، وكانت تاريخيًا تتبع محافظة نابلس قبل أن تصبح سلفيت محافظة[155].

154 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي مواليد 1961م، رئيس بلدية كفر الديك، مقابلة بتاريخ: 6\9\2023.
155 موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى-كفر قرع 1991، الجزء الثاني - القسم الثاني ص 549-553

وقد بلغ عدد سكانها في إحصاء 2017 نحو: 5551 نسمة[156]، موزعين على عدّة عائلات وحمائل، مهنتهم الأساسية فلاحة الأرض وتربية الأغنام، قبل أن يتحول جزء كبير منهم إلى الوظائف الحكومية والعمل في قطاعات أخرى، ولا تزال جبال البلدة وأراضيها مكسوة بالأشجار، خصوصًا، شجر الزيتون، كما أن في البلدة زراعات أخرى متنوّعة.

للبلدة أربعة مداخل تربطها مع جوارها، المدخل الرئيس، ويقع شمال غربها، وهو المدخل الذي يغلقه جيش الاحتلال كإجراء عقابيّ ضد الأهالي، والمدخل الثاني الواقع شمال شرق البلدة، يؤدّي إلى طريق تمرّ من قرية بروقين، ويشكّل بديلًا أساسيًّا في حال أغلق المدخل الرئيس، والمدخلان الآخران يقع أحدهما جنوبي البلدة ويؤدّي إلى قرية دير غسّانة وقرى أخرى؛ ويقع ثانيهما في الجهة الشرقية، ويؤدّي، كذلك، إلى قرية بروقين[157].

كان اعتماد البلدة في شربها فيما مضى على عين ماء تسمى (الفوارة)، وتقع في وادي البلدة من الجهة الغربية، إذ كانت النسوة يجلبن الماء من العين إلى البلدة في الجرار على رؤوسهن، ويتم استخدام مياه العين للزراعة، حاليًّا، كزراعة الحمضيات والخضروات وغيرها من المزروعات، وهناك عينا ماء في البلدة هُما: عين صريدة، وعين المزراب[158].

وللبلدة إسهامها في النضال الفلسطيني، وحسبنا أن نشير لدورها البارز في ثورة فلسطين الكبرى (1936-1939)، فقد كان في البلدة فصيل نشط في منطقة سلفيت، وكان بقيادة حافظ ومحفوظ أحمد[159]، وكذلك أحمد العودة[160] الذي اشتهر بكونه قناصًا ماهرًا في ثورة ال36 وكذلك في حرب 1948م والشهيد عبد الحاج الذي استشهد في الثورة وهو مختبئ عند شجرة عند أطراف كفر الديك[161]، والقاضي في تلك الثورة: عبد الحميد إبراهيم[162]، وقد قدمت البلدة طوال تاريخها أسرى وشهداء في سبيل الحرية والاستقلال.

156 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2018 (التعداد العام للسكان والمنشآت 2017: ملخص النتائج النهائية للتعداد، رام الله - فلسطين.
157 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق)
158 المصدر السابق
159 سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1939-1936، د. مصطفى كبها د. نمر سرحان اصدار دار الهدى 2009 ص 274
160 سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1939-1936 (مصدر سابق) ص 184
161 سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1939-1936 (مصدر سابق) ص 524
162 سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1939-1936 (مصدر سابق) ص 530

تعتبر كفر الديك من أغنى البلدات الفلسطينية خربًا وآثارًا، وهي من المناطق المأهولة قديمًا، إذ تُشير آثارها لتواصل الحياة فيها وفي محيطها منذ آلاف السنين، وأنها، تاريخيًّا، كانتْ بلدة ذاتَ أهميةٍ وبصمتها مهمة واضحة، ونشاهد، في البلدة، بقايا برج مربع وصهاريج وبركًا ومدافن منقورة في الصخر، إضافة إلى بلدتها القديمة، وتقع ضمن أراضيها المُمتدة عدة معالم وخرب أثرية غاية في الأهمية منها[163]:

1. دير سمعان:
خربة أثرية بيزنطية تقع على قمة تلة ارتفاعها 350 مترًا عن سطح البحر، وتبلغ مساحتها حوالي ثلاثة دونمات، تقع على بُعد ثلاثة كيلومترات من الشمال الغربي لبلدة كفر الديك، وفيها غرف وآبار وبرك وخزانات مياه ومعصرة زيتون وأخرى لصنع النبيذ، إضافة لأرضيات الفسيفساء الملونة.

2. دير قلعة:
خربة أثرية على ارتفاع 368 مترًا عن سطح البحر، في منطقة تشرف على الساحل الفلسطيني، ويغطي الدير مساحة خمسة دونمات إلى الشرق من كفر الديك، ويعتقد بأن الدير بني بين القرنين الخامس والسادس الميلاديّين، وفي الدير معالم مهمة كالخزان الذي يعتبر من أكبر الخزانات المائية، وللدير سور داخلي وخارجي وفيه غرف ومعالم مهمة.

3. خربة سوسية:
خربة أثرية، تحتوي على آثار أنقاض قرية كانت عامرة، ولعل سوسية تحريف (سوسي) السريانية بمعنى الأحصنة، وموقعها إلى الشمال من بلدة كفر الديك، ولا تزال أساسات الأبنية والبيوت وبقايا المسجد في الخربة قائمة حتى اليوم.[164]

وهناك عدة خرب أخرى مثل: خربة ديرية (داريا)، خربة أم البابين، خربة شقاق عراره، خربة قيسارية، خربة إشراف، خربة الحمقة، وخربة بنات بر، وجامع الوعر، وهذه الخرب القديمة تتفاوت تاريخًا وعمرًا وتنوعًا في معالمها وبقاياها، وفيها من المعالم والشواهد ما هو جدير بالاهتمام والمتابعة[165].

كما أن بلدة كفر الديك تشتهر بمقامات الأولياء والصالحين، حيث ورد ذكر مجموعة من المقامات الإسلامية فيها مثل: أبو عطّاف ومقامه في الشمال الشرقي من البلدة، يقولون إنّه مجاهد من أيام صلاح الدين

163 انظر : موسوعة بلادنا فلسطين (مصدر سابق)
164 يروي الأهالي حكاية طريفة عن خراب هذه القرية التي كانت عامرة إلى حدود الفترة 1750-1700، وتتعلق الحكاية بأهالي بلدة عقربا، الذين هدموا القرية وهجّروا أهلها منها.
165 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق)

الأيوبي وضريحه داخل غرفة مُقببة[166]، والشيخ صبح، ويقع مقامه على بعد 6 كم إلى الشمال من البلدة على قمة ترتفع 420 مترًا عن سطح البحر، والشيخ نافوخ، ومقامه إلى الشرق من البلدة، ومقام الحج عرفان، ومقام أحمد الفقيه، وهناك مقام قديم منسوب للسيدة نفيسة، وحوله سنديانات ثلاثة، وشجرة خروب، وسبعة أشجار سريس[167].

في البلدة، حاليًا، مجلس بلدي يتولى شؤونها، ويتابع القضايا الإدارية والاجتماعية وخدمات البنى التحتية، ويسهم في الإشراف على مدارس البلدة ومساجدها وذلك بالتنسيق مع الجهات الرسمية التي تتبع لها هذه المؤسسات[168].

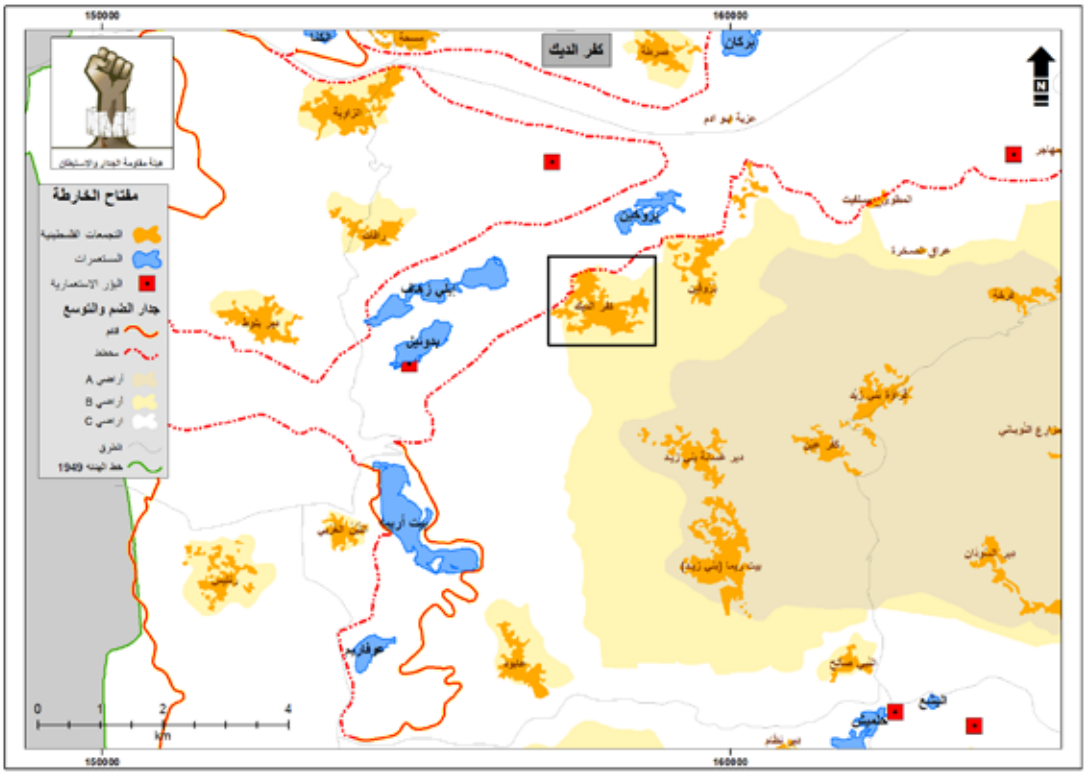

خارطة توضيحية لبلدة كفر الديك وما يحيط بها من قرى ومستعمرات _ المصدر _ هيئة مقاومة الجدار والاستيطان

166 طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة، د. شكري عراف، مطبعة إخوان مخول - ترشيحا أيلول 2013. الجزء الاول، الصفحة: 197

167 طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة (مصدر سابق) الجزء الثاني، الصفحة: 456.

168 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق)

ثانياً: السياسات الاستعمارية في كفر الديك

1. 2 المستعمرات وسرقة الأرض

بلدة كفر الديك من التجمعات الفلسطينية التي يستهدفها الاحتلال الإسرائيليّ في محافظة سلفيت بكثرة، حيث بدأت معاناتها مع الاحتلال مع بدء حركة الاستيطان الصهيوني في المحافظة، وتأثرت بمشاريع شقّ الطرق الالتفافية، ثم خُنقت البلدة بالمستعمرات والطرق الالتفافية التي أحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم[169].

وتكثّفت معاناة البلدة مع إقامة المستوطنات في محيطها بداية سبعينيّات القرن الماضي، وقد طالها ضرر التوسع الاستعماري وسياسات شقّ الطرق وإقامة الجدار، وإنشاء المناطق الصناعية والمستعمرات الكبرى، وسياسات العقاب الجماعي التي تفرض على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عمومًا، وخلال السنوات الماضية تمت مصادرة أجزاء كبيرة من أراضيها، ثم فرض الاحتلال قيودًا صارمة تمنع المزارعين من الاستفادة من أراضيهم الواقعة شمال وغرب البلدة بحّجة أنها مناطق (ج).

وبحسب رئيس بلدية كفر الديك السيد محمد نجيب، فإن سبب الهجمة على كفر الديك ومنطقة سلفيت هو: «موقع المنطقة المهم والمُشرف، وكفر الديك تطل على الساحل الفلسطيني، باعتبارها: «شُرفة تل أبيب»، إذ تعتبر سلفيت جزءًا من منطقة الوصل الجغرافي بين الساحل والغور، ولأجل ذلك كثّف الاحتلال استيطانه فيها، إذ لا إمكانية للتواصل الحي بين مستعمرات الغور والساحل من غير الاستيطان في محافظة سلفيت، ولا يُنسَى أنّها تقوم على أكبر حوضٍ مائي»[170].

أما أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العربية الأميركية د. فارس الديك فيرى أنّ سبب الهجمة الاستعمارية على كفر الديك ومحافظة سلفيت تتمثّل في: «موقع سلفيت المتوسط بين الساحل والغور، وهي منطقة تشرف على الطرق التجارية القديمة، ومنها يمر العابرون شرقًا وغربًا من وإلى الساحل، ولذا نرى انتشارًا مكثفًا للخرب والمواقع الأثرية ذات طابع «القلاع»، ومن هذا الباب يحاول الاستعمار خلق رواية توراتية ليسرق كل هذا الغنى الأثري في سلفيت، وهو تكثيف لخطة أرئيل شارون الاستيطانية والتي تعرف بـ (الأصبع الاستيطاني) بحيث يقيم مستعمراتٍ تربط الساحل بالغور، فلا يبقى الغور معزولًا عن الدولة ومركزها الساحليّ، ولأجل ذلك ينشط استعمار الأرض بين كفر قاسم غربًا وفصايل شرقًا، على جانبي شارع «عابر السامر» في أراضي سلفيت ونابلس، لخلق تواصل عمراني وجغرافي بين المستعمرات الصهيونية»[171].

169 الدكتور فارس قاسم الديك، مواليد: 1980م أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العربية الأمريكية، مقابلة بتاريخ 14\9\2023

170 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق)

171 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).

وكانت إقامة المستعمرات على أراضي كفر الديك قد بدأت مع مستعمرة (عالي زهاف) والتي تأسست عام 1982م على أراضي كفر الديك ورافات، وقد كان اسمها نسبة لزوجة رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق مناحيم بيغن (عليزا بيغن)، مع أن اسم المستعمرة عند تأسيسها كان: يوعيزر[172].

ثم تأسست مستعمرة (بدوئيل) عام 1984م على أراضي رافات ودير بلوط وكفر الديك، وحملت اسمًا توراتيًا بمعنى (فِداهُ الرب)، وهي تطل على وادي صريدة، وعلى الساحل الفلسطيني المحتل، ولاحقًا، أقيمت لها منطقة صناعية[173].

أما مستعمرة (بروخين) التي أقيمت في العام 1998م، على أراضي قريتي بروقين وكفر الديك، فقد سرقت الاسم العربي لقرية بروقين، وكانت محكمة الاحتلال العليا قد اعتبرت هذه البؤرة الاستيطانية غير قانونية، إذ صدر قرار بتجميد توسيعها، إلا أن حكومة الاحتلال فيما بعد أقرتها مستوطنة مستقلة[174].

وآخر تلك المستعمرات الصهيونية: البؤرة الاستيطانية (ليشم) والتي تجدد العمل في بنائها عام 2020، بالقرب من الموقع الأثري دير سمعان، وقد كانت في البداية حيًّا من أحياء مستعمرة (عالي زهاف)، غير أن العمل أعيد فيها كمستعمرة جديدة، وقد تم شق شارع يخدمها على حساب الأرض الفلسطينية.[175]

ولم ينتهِ الأمر هنا، بل أقام مستعمرون بؤرة زراعية على جبل (ظهر صبح) شمال كفر الديك، ثم استولى المستعمرون على منطقة (القعدات) التابعة ملكيتها لأهالي كفر الديك القريبة من مستعمرة بدوئيل وأقاموا فيها بؤرة رعوية، لتنظيم البؤرة التي سبقتها بالقرب من دير بلوط[176].

يتحدث الحاج إسماعيل داود (1942) عن الاستيطان في قريته: «هناك أربع مستوطنات تحيط بكفر الديك من كل الجهات، مستعمرة بروخين شرق كفر الديك، عالي زهاف من الشمال، ليشم من جهة الغرب، و بدوئيل من الغرب الجنوبي، وهذول بتحكّمن بالبلد والقرى اللي حوالينا، ومن لمّا صار فيه عند الاحتلال رُعاة ومعهم غنم يسرحوا فيها والسلاح على ظهورهم، صار الواحد لما بدّه يروح على أرضه، أو ع طرف البلد، لازم يودّع أهله لأنه بجوز ما يرجع، هذول بس يشوفوا فلسطيني بدهم يهجموا عليه»[177].

172 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 2012-1870. ترجمة وإعداد: علي نجم الدين، صادر عن هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، الطبعة الأولى 2014. الصفحة: 320
173 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 2012-1870 (مصدر سبق) الصفحة: 339
174 موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 2012-1870 (مصدر سبق) الصفحة: 361
175 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).
176 المصدر السابق
177 الحاج اسماعيل داوود ابراهيم قاسم. مواليد: 1942م مقابلة بتاريخ 21\8\2023

يشير السيد محمد ناجي ، أيضًا، إلى أن دولة الاحتلال: «لم تكتف بمصادرة 1225 دونمًا لصالح إقامة مستعمرات «عالي زهاف»، و»بدوئيل» ومنطقتها الصناعية، و»ليشم»، و»بروخين» المقامة على أراضي كفر الديك، وأراضي البلدات المجاورة، بل نهبت مئات الدونمات لصالح الطرق الالتفافية، والجدار العازل للمستعمرات، إذ سيعزل خلفه حوالي 8842 دونمًا من أراضي البلدة، بل قامت بنصب كاميرات وأبراج عسكرية على الشوارع كما في البرج على مدخل كفر الديك ودير بلوط، حيث تلعب هذه الأبراج دور الحاجز العسكري لإغلاق القرى في أي وقت، وأحكمت من حالة المراقبة للتجمعات الفلسطينية، وفوق ذلك يتم تدمير الأودية والطرقات، وقد دمّرتِ المياه العادمة ومياه المنطقة الصناعية (بركان) الوديان على طرفي القرية الشمالي والجنوبي».[178]

2.2 الملاحقة في مناطق (ج)

لجأت دولة الاحتلال لاستخدام الصلاحيات المطلقة لتجميد الحياة الفلسطينية في المناطق المصنفة (ج)، والتي تشكل ما نسبته 85% من مجموع مساحة أراضي كفر الديك، وذلك وفق تبادل الأدوار بين المؤسسات الاستعمارية المختلفة، ولذا نجد سلسلة طويلة من الانتهاكات والاعتداءات والإخطارات وعمليات الهدم في البلدة ومحيطها، ويقابله، وبذات الحجم والمستوى، توسع وانتشار المستعمرات الصهيونية.

يسرد الشاب فوزي علي (1993) حكاية بيته الذي هدم في آب 2022: «كان بيتي جديداً على طرف كفر الديك، وبستعد بدي أسكن فيه، وكان فيه إخطار بوقف البناء، وفيه قضية في المحكمة، وفجأة بيجي الجيش والجرافات ع البيت وإحنا مش فيه، وبهدموه دون قرار أو إشعار إلنا»[179].

يشير رئيس البلدية السيد محمد نجيب: « هدم الاحتلال ثلاثة منازل في كفر الديك بحجة أنها بنيت في مناطق (ج)، وهدم حوالي 25 منزلًا زراعيًا في أطراف القرية بذات الحجج، وحاليًا، عندنا 175 موقعًا أو بناء زراعيًا فيهن إخطارات وقف البناء أو هدم بنفس الحجة، وقد دمِّرَتْ آبار مياه، واقتلعت الأشجار وخُرِّبَت الأراضي الزراعية، وهوجم المزارعون في أراضيهم وبيوتهم»[180].

178 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
179 السيد فوزي علي نافز أحمد ، مواليد:1993 . مقابلة بتاريخ 21\8\2023
180 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).

يؤكّد المحامي في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الإنسان أ. وائل القط بأن: «بلدة كفر الديك لها خصوصية مختلفة، فعدد سكانها المتزايد في هذا التجمع يتطلب توسعًا عمرانيًا، وتوسيعًا للمخططات الهيكلية لتتلاءم مع الازدياد في عدد السكان، إلا أن مخططات التوسعة الهيكلية للقرى الفلسطينية بما فيها كفر الديك تتطلّب موافقة سلطات الاحتلال، والتي، بدورها، لا تصادق على أي مخططات متعلقةٍ بالمناطق المصنّفة (ج) في غالبية مناطق الضفة الغربية، ولذا، نشاهد في كفر الديك وقرى سلفيت عمومًا، اضطرارًا للبناء في مناطق (ج)، وهناك عشرات الملفات التي تخص بلدة كفر الديك، ومئات الملفات في محافظة سلفيت تجري متابعتها بخصوص إخطارات وقف البناء أو الهدم، وبالطبع، فإنّ ممارسات الاحتلال في هذا التجمع مُمنهجة وواضحة لمنع إقامة أي أبنية في هذه المناطق»[181].

وحول هذا الأمر يُشير د. فارس الديك إلى أنّ «مساحة القرية تبلغ 17 ألف دونم منها 1400 دونمٍ ضمن المخطط الهيكلي الذي يُسمَحُ البناء فيه، وعدد السكان يبلغ قريبًا من 6000 نسمة، فعدد السكان بالنسبة إلى مساحة الأرض التي يُسمح البناء فيها تعتبر تحديًا يجعلهم بحاجة ماسّة للتوسع، خصوصًا أن المنطقة (ب) التي يُسمَحُ البناء فيها حاليًا هي من جهة الجنوب تُجاه الوادي الوعر، وهي منطقة صعبة ومنحدرة ولا تصلح للبناء، أما المناطق المناسبة للبناء فهي من جهتي الغرب والشمال وكلتاهما مناطق (ج)، والاحتلال يرفض توسعة المخطط الهيكلي للقرية»[182].

بل إن الأمر تجاوز ذلك، حيث بادر المستعمرون لهدم أحد البيوت الزراعية في المنطقة (ج)، وكما يقول المحامي وائل القط عن هذه الحادثة: «هذه سابقة، حيث قام المستعمرون في محيط كفر الديك بتدمير أحد المنازل الزراعية بأنفسهم، مؤدين دور الجهات الرسمية في دولة الاحتلال، والتي تتولى عمليات الهدم والمصادرة بالعادة، وهذا تحوُّل مُرعب في السيطرة الاستعمارية على هذه المناطق»[183].

ولم يكتفِ المشروع الاستعماري بتجميد الحياة الفلسطينية في مناطق (ج)، بل تعدّت الآثار الاستعمارية لتشمل كل مناحي الحياة بما فيها الزراعة والبيئة، فدمّرت الزراعة وخرّبت الحقول المزروعة بالمحاصيل المتنوعة، وحول ذلك أشار رئيس المجلس البلدي السيد محمد نجيب: «دمرتْ المجاري والمياه العادمة التي تندفع من المستوطنات ومن المناطق الصناعية مصارف الماء في الوديان وأطراف البلدة (العبارات)، من جهتي الجنوب

181 الأستاذ وائل عبد الرحيم قط، محامي ومستشار قانوني في مركز القدس للمساعدة القانونية وحقوق الانسان، مقابلة في مكتبه بتاريخ 9\6\2023.
182 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).
183 للأستاذ وائل عبد الرحيم قط (مصدر سابق).

والشمال، ولم نستطع إعادة تأهيلها كاملة، لأن الأمر يحتاج لتنسيق وموافقة الاحتلال، وهناك أجزاء كبيرة من الطرق القديمة يرفض الاحتلال إعادة تأهيلها لتسهيل وصول المزارعين إليها، وهذا جزء من مخطط ممنهج لسرقة الأرض، يعني حتى اللي خربوه ممنوع إحنا نصلحه»[184].

ويشير أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العربية الأميركية د. فارس الديك إلى أن: «جزءًا كبيرًا من الأشجار والمحاصيل الزراعية، دُمرت بسبب المياه العادمة التي تحتوي مواد كيميائية وصناعية، الأمر الذي أسهم في تلويث التربة وتدمير مكوناتها، إضافة، لتسربها إلى المياه الجوفية وتسميمها، كما أنها تدمر البيئة وتحدث تلوثًا مرعبًا، وتجلب الحشرات والأمراض، وما يسلم من هذا التلوّث من شجر ومحاصيل زراعية فإنّ المستعمرين قد يقطعونه ويخرّبونه، وقد تحولت الوديان إلى مناطق جاذبة للخنازير البرية، وصارت أماكن ليس من السهل الذهاب إليها»[185].

الأمر ذاته يؤكده رئيس البلدية السيد محمد نجيب: «مشان تعرف إنه ما فيه شيء بريء عند الاحتلال، التنسيق لأجل حراثة الأرض وقطف الزيتون، بعطونا أيام محدودة لا تكفي لإنهاء الموسم، وفوق هيك الزيتون مش سلمان منهم، ولما بنروح ع الأرض في التنسيق وغير التنسيق بكونوا الأهالي قلقانين من اعتداءات المستوطنين أثناء العمل في الأرض، وفي أراضي بطلنا نروح عليها لأنه المجاري والمياه العادمة خربتها وحرقت الشجر ويبّستته»[186].

وعن سبب هذه الهجمة العدوانية والعنيفة في الفترة الأخيرة على كفر الديك يرى د. فارس أن السبب هو أنّ: هناك مجموعات من «فتيان التلال» سكنوا في مستعمرة بروخين بعد عام 2014، بالإضافة للمتدينين خريجي المعهد الديني في مستعمرة بدوئيل، وهؤلاء أحدثوا تحولًا في ممارسات المستعمرين في المنطقة، وصار هناك عداء وتعبئة ضد العرب، ودعوات لتخريب ممتلكاتهم، والسيطرة على الأرض بدوافع توارتية»[187].

184 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
185 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).
186 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
187 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).

3. 2 عزل المواقع الأثرية والسيطرة عليها

إن جوهر المشروع الاستعماري للحركة الصهيونية في فلسطين هو سرقة الأرض والاستيلاء عليها، وطرد أصحابها الفلسطينيين منها، ولذا تتنوع مؤسسات وأدوات دولة الاحتلال للوصول لهذا الهدف، وفي سبيل ذلك تستخدم القوة وتسن القوانين وتوظف حقل التاريخ وتسلب تراث الشعب الأصلي، وتعمد إلى التضليل والتزوير وقلب الحقائق.

وفي حالة بلدة كُفر الديك، وبحكم غنى المنطقة التي تتبع لها بالمواقع الأثرية والخرب التاريخية والأديرة البيزنطية المهجورة، سعى الاحتلال خلال السنوات الماضية للسيطرة على هذه المواقع من مدخل سلطته على الأراضي التي تقع فيها هذه المواقع الأثرية باعتبارها مناطق (ج)، حيث تم تكثيف حركة السياحة الصهيونية إليها، ومنع أي تدخل أو حماية لهذه المواقع من الجهات المختصة فلسطينيًا، حيث كانت الجهات الرسمية الفلسطينية ممنوعة من التدخل لحماية وصيانة هذه المواقع، إذ لا تستطيع الدخول إليها لملاحقة عمليات التنقيب غير الشرعي.

وحول ذلك يقول الأستاذ منتصر موسى - مدير دائرة الآثار في رام الله والبيرة: «الوضع الحالي للمواقع الأثرية الفلسطينية بما فيها آثار كُفر الديك هو جزء من المشهد المرعب للمناطق المصنفة (ج)، لأن دولة الاحتلال تسيطر وتشرف على هذه المواقع، وتمنع الجهات الفلسطينية من التدخل فيها، وعليه نحتاج إلى فعل وخطط ممنهجة للضغط ومحاولة التغيير، للتخفيف من هذه التداعيات، وكان هناك توجه للجهات الدولية ذات الاهتمام بالتراث الثقافي لمنع المجزرة التي ينوي الاحتلال ارتكابها بحق الآثار الفلسطينية، ومن ذلك تسجيل هذه المواقع على لائحة التراث العالمي في اليونسكو، الأمر الذي تعترض عليه دولة الاحتلال كما في حالة تسجيل تل السلطان على لائحة التراث العالمي، وتتم إثارة ضجة إعلامية لمنع ذلك، رغم أن هذا التل يقع في المناطق المصنفة (أ)، لكن السبب الحقيقي لاعتراض دولة الاحتلال هو أنها تريد الاستفراد بالفلسطينيين وأرضهم وآثارهم دون تدخل أو رقابة دولية»[188].

ويضيف الأستاذ موسى: «في ظل حكومة الاحتلال الحالية والتي أخذت قرارًا بضم 364 موقعًا أثريًا في الضفة الغربية، وتوفير مبالغ كبيرة لترميمها، يعني أن السيطرة الصهيونية على هذه المواقع وسرقتها ستكون منظّمة ومخطّطة، خصوصًا أن 80% منها يقع ضمن مناطق (ج) أو على أطراف المستعمرات، ومن التحديات القائمة: تزييف التاريخ لهذه المواقع وسرقتها، خصوصًا بأن هناك شواهد ودلائل كثيرة على قيام جهات من الاحتلال

188 السيد منتصر موسى - مدير دائرة الآثار في محافظة رام الله والبيرة، مقابلة بتاريخ 7\9\2023

بسرقة أرضيات فسيفساء وحجارة بيزنطية ونقلها للمتاحف والمستعمرات، واستخدامها في مبانٍ وساحات عامة، وذلك لتزوير التاريخ وتوظيفه لخدمة الرواية الصهيونية، والآن، ومع هذا القرار، سنكون مع جهد رسمي منظم في السرقة والتزوير»[189].

تكفي جولة ميدانية نحو هذه المواقع الأثرية المنتشرة في محيط كفر الديك اليوم، لتدرك أنّ القرار الصهيوني لم يكن وليد اللحظة، إذ سبقته خطوات استعمارية كان من أبرزها كثرة الاعتداءات والهجمات على الأهالي، ومنعهم من الوصول لهذه المواقع بسهولة، وعدم السماح للمجالس المحلية بتنظيف وترميم أو إقامة حدائق عامة في محيط هذه المواقع، ثمّ إغماض العين عن عمليات التنقيب وسرقة أرضيات الفسيفساء، والحجارة التي يقوم بها المستعمرون أو سماسرة يبيعونهم ما يتم سرقته من هذه الخرب، وبالمحصلة، فإنّ كثيرًا من المعالم خُربت وسُرقت[190].

واستكمالًا لتلك الجهود الاستعمارية على هذه المواقع الأثرية عملت مؤسسات الاحتلال على تضييق الفضاء المفتوح لهذه المواقع الأثرية كما يقول رئيس البلدية الأستاذ محمد نجيب: «تمت إقامة المستعمرات في محيط المواقع الأثرية، ومن خلال الجدار الفاصل للمستعمرات تم عزلها كليًا عن القرى الفلسطينية، والذي يزور موقع دير سمعان الأثري غرب كفر الديك، يرى أنه يقع بين ثلاث مستعمرات هي: عالي زهاف، وبدوئيل، وليشم الجديدة، وأن زيارتك، حاليًا، لهذا الموقع محفوفة بالمخاطر بفعل الاعتداءات»[191].

وحول خطورة عزل هذه المواقع الأثرية ومصادرة سلطات الاحتلال لها، يقول د. فارس الديك: «الآثار والخرب المنتشرة بكثافة في المنطقة، وخصوصًا، على قمم التلال والجبال غالبيتها من الفترة البيزنطية حتى الحقبة العثمانية، والاحتلال يخلق روايات مُتوهمة وينسج خرافات حول يهوديتها، وكنت أستمع لما يتحدثون به لبعض طلاب المدارس أثناء زيارتهم للموقع حول علاقته بتاريخ اليهود، يتم تضليلهم، بشكل مدروس، ولتتسق الصورة مع ما يسمعونه يطلبون منهم تأدية طقوس دينية في هذه المواقع، مثل إضاءة الشموع والصلوات التلمودية، فيرتبط الموقع في ذهن الأطفال بالرواية التوراتية وتُخلَقُ في رأسه فكرة الحق فيها»[192].
واستمرارًا لهذه السياسة أعلنت سلطات الاحتلال في 5 سبتمبر 2020 عن إخطارات بمصادرة خربتي دير سمعان ودير قلعة، ثم كان الإعلان الصهيوني في 2023 من أحد وزراء الحكومة عن مشاريع لأجل ترميم 364 موقعًا أثريًا في الضفة الغربية[193].

189 المصدر السابق
190 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).
191 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
192 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
193 السيد منتصر موسى - مدير دائرة الآثار في محافظة رام الله والبيرة (مصدر سابق)

خاتمة

تهدف هذه السياسات والمخططات لإخضاع الجغرافيا الفلسطينية بأحمال التاريخ والتراث والحضارة التي فوقها للسيطرة الصهيونية وتغيير طبيعة هذه الأرض بشكل جذري، وهو ما عبّر عنه رئيس بلدية كفر الديك بقوله: «ليس هناك شيء بريء» وفي هذه الجملة اختصار لمعاناة كفر الديك من التصعيد الممنهج من حكومة الاحتلال وأدواتها الاستعمارية.

لكن السؤال الآن الذي علينا أن نطرحه: ما المطلوب منا؟ وكيف نتجاوز هذه المرحلة؟

يقول رئيس البلدية السيد محمد نجيب: «أكيد مش راح نستسلم للاحتلال، بس مطلوب جهود جماعية وقرارات سياسية، من الحكومة والمؤسسات للتخفيف من أضرار هجمة الاحتلال، وإذا بكون فيه نشاط سياسي دولي وضغط يمكن ساعتها إجبار الاحتلال على وقف سياساته العنصرية، ومنع تفشي ظاهرة الاستيطان وتخريب كل شيء جميل في بلادنا»[194] .

ومن وجهة نظر د. فارس الديك: «المطلوب جهود جماعية للتحرك، لأن النضال الفردي مكلف ولا يحقق أثرًا حقيقيًا للمجتمع الفلسطيني، ما نحتاجه الآن حالة من النضال الجماعي للتصدي للتوسع الاستعماري المخيف، نضال تشارك فيه النخب السياسية والمجتمعية والمؤسسات والمزارعون، والكل يحمل العبء، وإلا فإننا سنواجه سياسات أكثر عدائية وتطرفًا من الاحتلال الاسرائيلي»[195].

أما الحاج الثمانيني الحاج إسماعيل قاسم فإنه يتطلع لدور فاعل في تعزيز صمود الفلاح في أرضه لننتصر ونتجاوز هذه المرحلة: «تكاليف البقاء في الأرض وتعميرها عالية، والدولة يجب أن تساعد، ليكون المزراع قويًا وقادرًا أن يظل في أرضه ويعمرها ويبنيها، حتى لو صار الهدم مرة واثنتين، إلا إذا بدهم صمود وهم قاعدين على المكاتب، المستوطنون معهم سلاح وكاميرات، وتصلهم خدمات الكهرباء والمياه، والكل يدعمهم ليسرقوا أرض مُش إلهم، وإحنا بدنا اهتمام حقيقي بالأرض والمزارعين لنقدر نتجاوز هذه الفترة القاسية»[196].

194 السيد محمد ابراهيم عودة ناجي (مصدر سابق).
195 الدكتور فارس قاسم الديك (مصدر سابق).
196 الحاج اسماعيل داوود ابراهيم قاسم (مصدر سابق).

خاتمة البحث

«من يكتب حكايته يرثْ أرض الكلام، ويملك المعنى تماما!»

محمود درويش

مصطلحات

- المستوطنات/ المستعمرات: هي التجمعات الاستعمارية التي أقامتها الحركة الصهيونية في فلسطين، منذ أواخر القرن التاسع عشر، لليهود الوافدين من دول العالم لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وبعد قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي بضم الضفة الغربية وقطاع غزة عقب احتلالهما في حزيران 1967م تركّزت دلالة المصطلح ليصبح وصفًا للمستعمرات الصهيونية التي أقيمت في الأراضي المحتلة عام 1967م، وكانت هذه المستعمرات قد أقيمت بالقوة والسلب على أراضٍ فلسطينية، وخصوصًا على قمم الجبال والتلال، لتسهم بدور فاعل في السياسة الاستعمارية في السلب والسيطرة والنهب لكل ما هو فلسطيني.

- البؤر الاستيطانية: البؤرة الاستيطانية هي مستعمرة جديدة أقيمت في الأراضي الفلسطينية المحتلة دون إذنٍ من حكومة الاحتلال، رغم أنها تقام بحماية ورعاية من جيش الاحتلال، وعادةً، تكون هذه البؤر الاستعمارية على مقربة من المستعمرات المعترف بها، وقد تعتبر إحدى أحيائها، وتبقى كذلك حتى تتوسّع وتنال الاعتراف الرسمي بها.

- الاستيطان الرعوي: هو «أحد أشكال الاستعمار التي اتبعها الاحتلال في الضفة الغربية، وخصوصًا في الأغوار والمناطق المصنفة بأنها مناطق (ج)، وتهدف هذه الظاهرة لاستعمار الأرض والسيطرة عليها وعلى كل ما تحويه من خيرات، حيث تبدأ بنواة صغيرة تعتمد على تربية الأغنام أو الأبقار، وسرعان ما تتوسع بلا حدود أو ضوابط وتبدأ بالسيطرة على التلال والسهول بذريعة إيجاد مراعٍ لقطعان الماشية الخاصة بهم، وباستخدام شكل منظم من الإرهاب ضدّ السكان المحليين، أصحاب الأرض. وقد ولدت هذه الظاهرة في بداياتها في البؤر الاستيطانية التي أنشئت على أراضي يانون (جفعات عولم) و (جفعات أرنون)، ومنها انتشرت في الضفة الغربية المحتلة.

- شبان التلال (شبيبة التلال): أو فتية التلال، فتية تغلب عليهم النزعة العدائية، وغالبيتهم من ذوي الجنح الجنائية، ويستقرون في البؤر الاستيطانية وينفذون هجمات على القرى والتجمعات الفلسطينية.
وقد ظهرت حركة «شبان التلال» في أواخر تسعينيات القرن الماضي على يد الصهيوني (أفري ران) الذي جلبهم لمزرعته الكبيرة التي سمّاها «تلال العالم» في منطقة يانون شرق نابلس، وصار هذا الضابط المتقاعد يستقبلهم للعمل في البناء والحقول، ويشحذهم بالروح العدائية، وهكذا، ولدت المجموعات الأولى لـ «شبان التلال».

- تدفيع الثمن (جباية الثمن): عصابات منظمة من ذوي الميول المتطرفة والأشد عنفًا تجاه الفلسطينيين، وقد بدأ نشاطها يأخذ شكل الفعل المنظم عام 2008 انطلاقًا من الاجتماع الذي عُقد في مستوطنة يتسهار جنوبَ نابلس، إذ بدأ الصهاينة الأشد تطرفًا مهاجمة القرى والبلدات الفلسطينية، واعتدوا على الممتلكات وأحرقوا السيارات وألحقوا الأضرار بدور العبادة (مساجد وكنائس)، وقاموا بتقطيع الأشجار وإتلاف المحاصيل وخطّوا الشعارات العنصرية والمسيئة؛ انتقامًا من العرب، ورفضًا لسياسة حكومتهم، ودفعًا لها لتغيير مواقفها من البؤر والمستوطنات غير القانونية حسب القانون الإسرائيلي، وقد صدرت فتاوى من كبار الحاخامات الصهاينة تشجّعُ هؤلاء المتطرفين على قتل العرب وذبحهم، مع عدم التفريق بين الأطفال والكبار، وأن هذا الفعل هو واجب ديني على اليهود.

- أوامر وضع اليد: قرار (مؤقت) يصدر من قبل قيادة جيش الاحتلال في الضفة الغربية، يقضي بمصادرة حق الاستعمال والاستغلال لمنشآت أو أراضٍ من أصحابها وملاكها الأصليين وتحويل هذا الحق لجيش الاحتلال.

- إخطارات الإخلاء: هي عبارة عن أوامر (عسكرية) تسلمها سلطات الاحتلال للمواطنين الفلسطينيين وتقضي بإبعادهم عن أراضيهم أو عقاراتهم بحجة أنها مناطق مغلقة، أو مناطق عسكرية، أو محميات طبيعية، أو أراضي دولة.

- سلاح الناحال: وحدة عسكرية في الجيش الصهيوني تجمع ما بين التدريب الأمني والعسكري، مع العمل الزراعي والاستيطان الحدودي، وكانت معسكراتها قد نشطت في الضفة الغربية بعد الاحتلال عام 1967م، ثم تحولت غالبية هذه المعسكرات لمستعمرات نشطة صهيونيًا.

- حركة بيتار الصهيونية: هي حركة الشبيبة لحزب أو حركة التصحيح الصهيوني، أسست عام 1923م من قبل زئيف جابوتنسكي الذي ترأسها آنذاك، وقد نشطت هذه الحركة في الاستعمار في فلسطين، وأنشأت عشرات المستعمرات.

- خطة آلون: خطة استعمار إقليمية لغور الأردن، اقترحت بعد حرب حزيران 1967م، من قبل أحد الوزراء الصهاينة وهو إيغال آلون (1918-1980)، وقد كان وزيرًا (للدولة) ومن ثم نائبًا لرئيس الوزراء ، وقد شكلت هذه الخطة الاستعمارية تحولًا مرعبًا على الأرض من حيث المصادرة والنهب لأراضي وأملاك الفلسطينيين.

- مواقع الأبراج والسياج: تعبير أطلق على المستعمرات الزراعية الصهيونية التي كانت تنشأ في ليلة واحدة من قبل المستعمرين الصهاينة في

النصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي (1939-1935م) ، حيث كان المستعمرون يقيمون هذه المستعمرات بشكل فجائي وسريع وفي ليلةٍ واحدة، وذلك بنصب برج للمراقبة وسياج لحماية الموقع الذي يضم غرفًا جاهزة وبعض الخيام، وهو أسلوب لم يتغير حتى اليوم إذ نشاهده في إقامة البؤر الاستعمارية في كل فلسطين المحتلة.

- الجدار (جدار الفصل العنصري) : عام 2002 أقام جيش الاحتلال جدارًا من الأسمنت والأسلاك الشائكة والسياج الإلكتروني، المدعوم بالأبراج العسكرية وكاميرات المراقبة والطرق والخنادق، وذلك على طول الضفة الغربية، بحيث يتم عزلها عن المناطق المحتلة عام 1948، وذلك بعد عمليات إعادة اقتحام مدن الضفة الغربية (الاجتياح)، وقد بلغ ارتفاع الجدار في بعض المناطق 8 أمتار، وقد سلب الجدار الفاصل مساحات واسعة من الضفة الغربية، وقطّع التواصل الطبيعي والجغرافي بين المدن والبلدات الفلسطينية، وكان له أضرار وتداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية مروّعة على الفلسطينيين.

- الأبراج العسكرية: أبراج أسطوانية من الخرسانة المسلحة، يقيمها جيش الاحتلال على مداخل البلدات والمخيمات الفلسطينية، وفي المرتفعات المُشرفة، وبجانب الطرق الالتفافية، يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار بمساحة إجمالية تبلغ (3 - 4) أمتار، تعلوها نوافذ صغيرة للمراقبة وإطلاق النار، وهذه الأبراج تكون محاطة بجدار إسمنتي فوقه شبك فولاذي، وتكون مزودة بمولدات كهربائية وكاميرات مراقبة، كل ذلك بهدف ضبط الفلسطينيين والسيطرة عليهم والتحكم في حركتهم.

- الحاجز العسكري: هي نقاط عسكرية لجيش الاحتلال يقوم بإنشائها على مداخل المدن والبلدات الفلسطينية، وعلى الطرقات التي تربط مدن الضفة بعضها ببعض، أو تلك التي تربط مدن وبلدات الضفة الغربية بالمناطق المحتلة عام 1948م، بهدف إعاقة حركة الفلسطينيين وتفتيشهم وضبط تحركهم بشكل كامل، وتختلف هذه الحواجز في طبيعتها وطريقة إقامتها. فمنها الدائمة الثابتة، والحواجز المؤقتة (الطيارة). كما عمد جيش الاحتلال بعد الانتفاضة الثانية لوضع حواجز على مداخل التجمعات الفلسطينية وكانت بين الكتل والمكعبات الإسمنتية والبوابات الحديدية، وسواتر التراب. وطوال الوقت يتعرض الفلسطينيون لعمليات تفتيش واحتجاز وتأخير وإذلال يتعمّده جنود الاحتلال على هذه الحواجز، وجميع حواجز جيش الاحتلال الثابتة مجهزة بأبراج عسكرية وكاميرات مراقبة وبوابات حديدية، وساحات حجز، ومسارب للتفتيش، يسمى بعضها «معاطات» لأنها تشبه آلات نتف ريش الدجاج، أو حلابات كتلك المخصصة للسيطرة على الأبقار وقت حلبها.

- الطرق الالتفافية: هي الطرق (الشوارع) التي شقّتها دولة الاحتلال في الضفة الغربية، بهدف تقسيم التجمعات الفلسطينية إلى مناطق معزولة ومضبوطة استعماريًا ويسهل السيطرة عليها، وتمنع في ذات الوقت أي تواصل جغرافي وامتداد بين البلدات الفلسطينية، كما أنها أسهمت بشكل رئيس في توسع وانتشار المستعمرات في الضفة الغربية وذلك من خلال خلق ترابط بينها وسهولة وصول عبر هذه الطرق التي تخترق الضفة الغربية وتربط المستعمرات بحدود المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948م.

- الإدارة المدنية: إدراة تتبع سلطات الاحتلال الإسرائيلي، أنشئت عام 1981م لتتولى المهام الإدارية والحياتية اليومية للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وغالبية موظفيها يعيّنهم جيش الاحتلال، بما في ذلك رئيس الإدارة المدنية، وهي تنفذ سياسات الدولة الاستعمارية، وتعتبر واحدة من الأدوات في المشروع الصهيوني ضد الوجود والحق الفلسطيني، وقد تقلص دورها بعد اتفاق أوسلو إلا أن الاحتلال أعاد لها دورها الفاعل مؤخرًا من خلال (المنسق) والمنصات التابعة له.

- شارع 90: هو الطريق الاستعماري الذي يشق الأغوار بشكل طولي بمحاذاة نهر الأردن ، ويبدأ من مدينة بيسان شمال الأغوار الفلسطينية ويتّجه جنوبًا مرورًا بمدينة أريحا حتى أقصى الجنوب عند إيلات، وقد أعاد الاحتلال تسميته بشارع (غاندي) نسبة للوزير الصهيوني (رحبعام زئيفي) الذي قتل في الانتفاضة الثانية.

- شارع آلون: طريق استعماري شقّته سلطات الاحتلال الإسرائيلي في سبعينيّات القرن الماضي، على امتداد السفوح الشرقية للجبال الوسطى، وقد فصل قرى شرق رام الله - نابلس عن الأغوار، ومهد لحركة استعمار نشطة في الأغوار الفلسطينية.

- المناطق (ج): أو المنطقة (C)، حسب اتفاق أوسلو الذي تم توقيعه بين منظمة التحرير والاحتلال الإسرائيلي، قسمت الضفة الغربية المحتلة إلى ثلاث مناطق: المنطقة أ: وتشكل 3% من أراضي الضفة الغربية، وامتدت عام 1999 لتشكل 18% من مساحة الضفة الغربيّة، وتخضع غالبية شؤون هذه المنطقة لسيطرة السلطة الفلسطينية. المنطقة ب: وتشكل 21% من أراضي الضفة الغربية، وتتحمل السلطة الفلسطينية مسؤولية قطاعات التعليم والصحة والاقتصاد في هذه المنطقة، فيما تسيطر قوات الاحتلال على الأمن فيها، علما بأنّ السيطرة الكاملة على الأمن الخارجي للمنطقتين (أ) و (ب) تتبع لدولة الاحتلال. المنطقة ج: وتشكل

60% من أراضي الضفة الغربية المحتلة، وتسيطر دولة الاحتلال على جميع جوانب الحياة فيها، بما في ذلك الأمن والتخطيط العمراني والبناء.

- التهجير القسري: استخدم الصهاينة مصطلح الترانسفير للتعبير عن مشاريعهم الهادفة لترحيل وطرد الفلسطينيين من أرضهم لأجل إقامة دولتهم القومية، وهو ما عملت عليه دولة الاحتلال عام 1948م إبان النكبة، وما تحاول تطبيقه حاليًا في التجمعات الفلسطينية في المناطق (ج)، لأجل إحلال المستعمرين الصهاينة مكانهم.

فالتهجير القسري هو النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين، أو نفيهم من الأراضي المحتلة إلى أراضي دولة الاحتلال أو إلى أراضي دولة أخرى، محتلة أو غير محتلة أيًا كانت دواعيه، وهو ما يتعارض مع نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات لاهاي وجنيف.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1. إحسان النمر. تاريخ جبل نابلس والبلقاء: الجزء الثالث. د. م: جمعية عمال المطابع التعاونية. 1975.
2. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. التعداد العام للسكان والمنشآت 2017: ملخص النتائج النهائية للتعداد. رام الله: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.
3. تهجير الرعاة الفلسطينيين وسط تصاعد عنف المستوطنين، مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية. 21 سبتمبر 2023. https://2u.pw/58tYlJ9
4. حمزة ديرية. الغور النابلسي: غور عقربا نموذجاً. (بحث غير منشور)
5. خضر إسماعيل دالية. دير دبوان بين الماضي والحاضر. دير دبوان: مطبعة الاعتصام. 1991.
6. دليل معهد الأبحاث التطبيقية- القدس (أريج)، 2006- 2009، قاعدة بيانات نظم المعلومات الجغرافية. فلسطين.
7. سجل رواق للمواقع التاريخية 2000، قرية عزون عتمة، من موقع: ((RIWAJ.org https://2u.pw/CschgQ3
8. سلمان أبو ستة. أطلس فلسطين 1966-1917. لندن: هيئة أرض فلسطين. 2011.
9. شكري عراف. طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة. ترشيحا: مطبعة إخوان مخول 2013.
10. علي نجم الدين (إعداد وترجمة). موسوعة المستوطنات الصهيونية في فلسطين 1870-2012. د. م: هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة. 2014.
11. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1969.
12. كل أثر ومكان في فلسطين. ترجمة ومطالعة عيد حجاج. عمان: الجامعة الأردنية. 1990.
13. محمد عودة غلمي. تاريخ الاستيطان اليهودي في منطقة نابلس. نابلس: دار الريان. 2001.
14. مصطفى كبها، نمر سرحان. سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936-1939. كفر قرع: دار الهدى 2009
15. مصطفى مراد الدباغ. موسوعة بلادنا فلسطين. كفر قرع: دار الهدى. 1991.
16. ملخص لأبرز انتهاكات دولة الاحتلال والمستعمرين في الأراضي الفلسطينية خلال العام 2022- التقرير السنوي، كانون الثاني 2023. هيئة مقاومة الجدار والاستيطان. 2023.

17. الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1969.
18. اليشاع أفرات. الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا. عمان: دار الجليل للنشر. 1991.

المراجع الأجنبية:

1. Review of The Cave of the Warrior: A Fourth Millennium Burial in the Judean Desert. - Article in Bulletin of the American Schools of Oriental Research February 2000 \ DOI 10.2307/1357486. Alexander Joffe.

2. CHRISTIAN ARCHAEOLOGY IN THE HOLY LAND (NEW DISCOVERIES) Editoria l2 Board : G. C. BOTTINI.L. DI SEGNI. E. ALLIATA . FRANCISCAN PRINTING PRESS- JERUSALEM 1990.

اعدت هذه الدراسة بتمويل من مؤسسة روزا لكسمبورغ .ولا يعبر المحتوى بالضرورة عن رأي الممول.

"Sponsored by the Rosa Luxemburg Stiftung with funds of the Federal Ministry for Economic Cooperation and Development of the Federal Republic of Germany. This publication or parts of it can be used by others for free as long as they provide a proper reference to the original publication."

"The content of the publication is the sole responsibility (of the FIRST PARTY) and does notnecessarily reflect a position of RLS."

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
REGIONAL OFFICE PALESTINE & JORDAN

عن الكاتب : حَمزة أُسامة العَقرباوي

فـلاح فلسـطيني، مهتـم بالتـراث الشـعبي ومـا يتصـل بالذاكـرة الجمعيـة والهويـة الوطنيـة.

Contact Us

Ramallah Office
Millennium Bldg., 3rd fl
Kamal Nasser St.
Tel: +970 2 298 7981
Fax: +970 2 2987982
www.jlac.ps
www.facebook.com/JLAC

ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
REGIONAL OFFICE PALESTINE & JORDAN